٦

سلسلة رجل المهام الصعبة

نسر الأعماق



نسر الأعماق



سلسلة
رَجُل المَهام الصَّعبة

المغامرة السادسة

نسر الأعماق

تأليف : مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية
١٩٩٩

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
ص.ب ٨٧٣٧

رجل المهام الصعبة :

انها سلسلة جديدة حافلة بالاثارة والمغامرة نقدمها لك أيها القارئ العربي الكريم..

ففي ظل عالم بات يعتمد كثيراً على أجهزة مخابراته ووسائلها السرية لتحقيق أهدافه.. وفي ظل ما يسمى بحرب المخابرات السرية.. وفي ظل أقصى درجة من المهارة والذكاء يبرز اسم « ماجد شريف ».. فهو طراز جديد فريد لا مثيل له في عالم المخابرات..

واذا كان « جيمس بوند » هو اسطورة الغرب في دنيا المخابرات.. فإن « ماجد شريف » هو الأسطورة القادمة من الشرق.. من الوطن العربي الكبير..

فهو الرجل الذي لا يقهر.. والذي يدخره رؤساؤه للحظة الأخيرة.. حيث لا يكون هناك حل آخر غير « ماجد شريف ».. ولم يحدث أن خيّب « ماجد » أمل رؤسائه فيه أبداً..

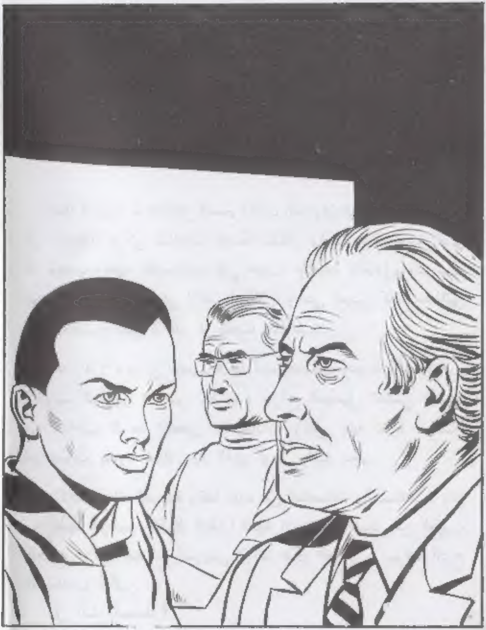
« السمكة المتوحشة »

خطا السيد « م » داخل الحجرة ذات الجدران البيضاء التي انتصب في منتصفها فراش بملاءات ناصعة نظيفة، وتمدد فوقه جسد قوي قد عُصب وجهه بالضمادات التي اخفت ملامحه بالكامل، ولم تترك موضعا خاليا غير فتحتي الانف للتنفس، وحتى العينين كانتا مغطاتين بالضمادات والفم لا أثر له تحت اللفائف..

وقف « ٦ » يتأمل الجسد الراقد أمامه بصمت وعينان لا ترمشان.. واقترب الدكتور « ناصر مغازي » جراح التجميل العالمي الشهير من صاحب الوجه المغطى بالضمادات والقى عليه نظرة فاحصة، ثم صوب بصره تجاه «م» الذي أومأ برأسه بنعم.

وكانت هناك ممرضة واقفة بعدد من المقصات والضمادات، وقد بدا عليها الترقب والتقيظ انتظارا لتلبية اي اشارة تصدر من الطبيب الجراح. وقال الجراح للمريض الراقد فوق الفراش : سوف انتزع الضمادات الآن..

هل انت مستعد ؟



أومأ صاحب الوجه المعصوب بنعم بهز رأسه مرة واحدة.. وأدار رأسه ببطء كأنه يمسح فراغ الحجرة بعينيه برغم الضمادات التي اغلقتها. وقال « م » بصوت هادئ مألوف : انني هنا يا ماجد.. ان كل شيء يسير على ما يرام.

ساد الصمت لبرهة قصيرة.. وامتدت يد الجراح إلى الوجه تحل عنه لفائفه.. وببطء ومهارة راحت اصابع الجراح الخبيرة كعازف بيانو ماهر تحل اللفائف في أعلى الرأس فكشفت عن شعر مقصوص قصير كشعر المجندين من رجال الجيش.

وكان لون الشعر القصير اصفر مائلاً للون البني.. وبنفس المهارة راحت اصابع الطبيب تزيح اللفائف كاشفة عن الوجه، وقد احاطت بالعينين ضمادتان كبيرتان، وبالأنف ضمادة أخرى اخفته تحتها، واستقرت ضمادة ثالثة تغطي الشفتين.

ببطء وحرص ازاح الطبيب الضمادة التي تغطي الفم، فظهر أسفلها فم قوي مزموم وشفتان مليئتان بالدم والصحة، وشارب قصير بني اللون فوق الشفة العليا. وازاح الجراح الضمادة التي تغطي الانف فظهر اقل من حجمه السابق، وقد اختفت عظمتا الانف العلويتان اللتان كانتا تغطيانه ايحاء بالقوة والصلابة فظهر الانف صغيرا بالقياس إلى السابق وقد تبدل لون جلده من السمرة الخفيفة إلى لون اشقر.

وازاح الطبيب الضمادتين الكبيرتين اللتين تغطيان الوجنتين فظهرتا

في أسفلها بنفس لون الانف الاشقر، وقد انطبعت فوقهما بضع نقاط بنية من النمش.. وكان شكل البشرة الرقيق يعطي احساسا أن صاحبها لم يتعرض لشمس قوية طوال عمره، وأنه في الاغلب الأعم من سكان الدول الاسكندنافية وشمال أوروبا.

واخيرا ازاح الطبيب اللفافتين الاخيرتين من فوق العينين المغمضتين اللتين رمش جفناهما مرة أو مرتين دون أن ينفتحا.

تأمل الجراح الوجه الساكن امامه.. كان يبحث عن أي اثر يدل على أنه تمت اجراء جراحة تجميل غيرت من معالم الوجه بالكامل فلم يجد. وارتسمت ابتسامة ارتياح كبيرة فوق وجه الجراح، والتفت إلى « م » فجاوبه الاخير بهزة رضا من رأسه..

تم الامر على خير ما يرام وبأقصى قدر من السرية، ولم يعلم به سوى « م » والجراح المصري العالمي الذي اجرى العملية، وكان هناك شخص أو شخصان في قيادة المخابرات يعلمان بها ايضا..

وما عدا ذلك فان أحداً من جهاز العمليات الخارجية بالكامل لم يكن يعرف أن ماجد شريف قد تحول بجراحة تجميل إلى شخصية اخرى مختلفة تماما.

بنفس الصوت الواضح النبرات قال الجراح لماجد : الآن تستطيع أن تفتح عينيك.. ببطء.

رمشت العينان مرة أو مرتين قبل أن يتحرك الجفنان لأعلى..

وأخيراً فتح ماجد عينيه وضاقت حدقتاه عندما صدمه الضوء بعد الظلام الدامس الذي عاش فيه عدة أيام منذ اجراء العملية التجميلية.

حدق « م » في عيني ماجد اللذين اصبحا في لون زرقة المحيط وقد ضاقت حدقتاهما قليلاً عن المألوف.. وبدا الجالس فوق الفراش شخصاً مختلفاً تماماً لا سبيل إلى المقارنة بما كان عليه من قبل ابداً.

وهتف « م » بدون ان يستطيع اخفاء اعجابه : نتيجة رائعة.

مد الجرّاح مرآة مستديرة إلى ماجد، فأمسك بها والقى نظرة متفحصة إلى وجهه واخذ يتفحص ملامحه ويدقق فيها.. ثم ارتسمت ابتسامة عريضة فوق شفتيه وتطلع إلى « م ».

وقال« م » مازحاً : لو لم أكن حاضراً العملية لما صدقت لحظة أنك رجلنا. تطلع ماجد إلى الجراح وتحركت شفتاه لأول مرة قائلاً : هل يمكنني مغادرة الفراش الآن ؟

ــ تستطيع ذلك.. وتستطيع أن تمارس حياتك العادية منذ الان ولكن عليك أن تتذكر من هذه اللحظة انك صرت شخصاً آخر.

والتفت إلى « م » : ثق من قدرته أيها الجراح انه عميل فذ. والتفت إلى ماجد قائلاً : سانتظرك في الخارج إلى ان تبدل ملابسك وتتوجه بعدها إلى المقر.

قال ماجد معترضاً : لا اظن أنه سيكون من المناسب ذهابي

معك إلى المقر، ولا تنس مطوي الأساة، فالمقر ليس معتاداً على دخول الأجانب إليه.

ابتسم « م » ابتسامة واسعة قائلاً: معك حق. فقد بدأت تتأقلم مع وضعك الجديد. سيكون حديثنا في مكان آخر أكثر راحة.

ورفع يده محيياً ماجد وغادر الحجرة وقد ارتسم في عينيه تعبير غامض من القلق والتوتر والاثارة.

ولم يكن ماجد بحاجة إلى من يذكره أن مهمته القادمة مهمة فريدة وخطيرة للغاية، وأن نجاحها أو فشلها يعتمد على عنصر وحيد هو ماجد، وأن فشله يعني أشياء كثيرة رهيبة.

بدأت القصة عندما حصلت المخابرات على رسالة عاجلة من أحد العملاء بنفسه الخارجي، وكان مضمون الرسالة خطيراً. كانت الرسالة تقول: «تابع الأصدقاء أوراق العجينة وهم مستعدون لشحنها إلى بلادهم.»

وكانت ترجمة الرسالة وحل رموزها الشفرية تعني أن الأعداء قاموا بالتعاقد على شراء غواصة نووية حديثة وأنهم يستعدون لتسلم هذه الغواصة خلال أسابيع قليلة في سرية تامة لتكون إحدى الدول الصغيرة التي تملك غواصات ذرية، موجهة أساساً ضد الوطن العربي، مما يهدد بقلب موازين القوة في العالم لصالح الأعداء بصورة رهيبة. وعلى الفور أصدرت فرع العمليات الخارجية أمرها بتشكيل مجموعة لمعرفة مزيد من التفاصيل، ورغم السرية التامة التي فرضتها مخابرات الأعداء

على الصفقة حتى لا تتسرب أسرارها إلى الخارج، فقد توصل عملاء القسم إلى معلومات على قدر كبير من الأهمية

كانت الغواصة المباعة تسمى بالاسم الرمزي « السمكة المتوحشة »، وكانت احدث غواصة في العالم يزيد ثمنها عن ألفي مليون دولار، وكانت من طراز هجومي تعتبر حاملة لقذائف النووية بعيدة المدى من طراز « ترايدنت »، ويصل مدى القذيفة النووية إلى أكثر من عشرة آلاف كيلومترات، مما يجعلها تشكل تهديدا عاليا من الخطر ضد كل الدول العربية مجتمعة. فالقذيفة النووية تطلق من الغواصة تحت الماء لتخرج منه إلى الهواء الخارجي، وتنطلق إلى هدفها في مسار مخصص بحيث لا تكتشفها الرادارات ولا تستطيع اعتراضها إلى أن تصل هدفها.

كما كانت الغواصة تمثل تهديدا بالغ الخطورة على الأسطول البحري العربي بالكامل، بفضل سرعتها العالية التي تبلغ ثمانين كيلومترا في الساعة وقدرتها على الغوص إلى عمق سبعمائة متر، واحتوائها على طوربيدات تقليدية واجهزة تجسس وتنصت وهجوم عالية التقنية، كما ان تسييرها بالوقود النووي يتيح لها البقاء والاختفاء تحت سطح الماء مدة شهور طويلة بلا حاجة إلى التزود بالوقود والاكسجين، لحصول ركاب الغواصة عليهما من الطاقة النووية التي تمد الغواصة بحاجتها من الوقود وسنوات عديدة بلا توقف، فتقوم بفصل الاكسجين عن الهيدروجين من ماء البحر للحصول على

الأكسجين اللازم للتنفس. أما الماء العذب فتحصل عليه بتقطير ماء البحر. كما تتسع حجراتها لكميات هائلة من الطعام تكفي بحارتها شهوراً عديدة. ولذلك تستطيع الغواصة البقاء تحت سطح الماء لمدة طويلة مما يصعب، بل يستحيل اكتشافها.

وعندما وُضعت كل المعلومات السابقة أمام القيادة تأكدت أن الغواصة النووية تمثل تهديداً نووياً خطيراً لا يمكن السكوت عنه أو تجاوز خطره وإهماله.

وجاءت الأوامر حاسمة قاطعة من القيادة بالتخلص من الغواصة في رحلة إبحارها إلى بلاد الأعداء، وقبل وصولها إلى مياههم الإقليمية حتى تتوه المسئولية، ولا يمكن اتهام أي من الدول العربية بذلك لأن الحادث وقع بعيداً عن مياهها.

وعلى الفور وُضعت خطط حربية عديدة لنسف الغواصة. وكانت الخطط الموضوعة تشمل مهاجمة الغواصة في المحيط الهندي أثناء إبحارها إلى المنطقة العربية بغواصة أخرى. ولكن نسبة هذا الهجوم لم تكن مضمونة بسبب تفوق غواصة الأعداء في سرعتها وأجهزتها وأسلحتها.. أما الهجوم على الغواصة بالطائرات من الجو ومهاجمتها بقنابل الأعماق، فإن لدى غواصة الأعداء من الأجهزة الالكترونية الحديثة ما يمكنهم من اكتشاف القنابل وتدميرها قبل وصولها إليهم، بل ولدى الغواصة من الأسلحة الرمائية ما يمكنها من نسف الطائرات المهاجمة حتى وهي مختفية تحت سطح الماء.

ولذلك أبعدت الخطط الرامية إلى مهاجمة الغواصة من الخارج وكانت الخطة الوحيدة القابلة للنجاح هي مهاجمة الغواصة من الداخل، عن طريق دزرع احد عملاء فرع العمليات في طاقمها

ولم يكن ذلك ميسوراً لأن اختيار الطاقم قد تم بالفعل من ضمن ضباط بحرية العدو وبعض المرتزقة. لذلك كان التصرف الوحيد الممكن هو استبدال احد العاملين من الغواصة بعميل الفرع الخارجي، وعلى الفور تم الحصول على معلومات عن جميع الضباط والبحارة الذين سيستقلون الغواصة عند ابحارها إلى المياه الاقليمية للاعداء وتم اخضاع المعلومات لفحص دقيق من حيث المواصفات الجسديه والجثمانيه لجميع ملاحي الغواصه واخيراً استقر الرأي على اختيار احد الضباط ويدعى « جاك بريموس »، وكان يماثل ماجد في الجسم والوزن والمقاييس الجسدية، وكانت ملامحه قريبة عدا لون العينين والبشره وحجم الانف ولون الشعر.

وعلى الفور تم استدعاء الجراح المصري العالمي « ناصر معاري » من لندن، فقام باجراء عدة عمليات متتالية تم فيها تغيير ملامح ماجد بالكامل وزرع قرنية زرقاء في العينين.

وهكذا بدأت الخطوة الأولى في العملية التي أُطلق عليها الاسم الشفري « نسر الاعماق ».

* * *

« شلالات خطط.. للموت »

تساءل « م » بلغته الانجليزية سليمة وهو يصب لماجد علبة من عصير الفواكه في كأس ذي حواف مذهبة . هل انت مدرك لخطورة ما سوف تواجهه ؟ اجاب ماجد بنفس اللغة وبلكنة خاصة تدرب عليها طويلا : تماما يا سيدي. عاد « م » يقول لن تكون هناك مساعدة من أي نوع . سواء في البر أو البحر أو الجو. ستعمل وحيداً وسط ما يزيد عن مائة من الضباط والبحارة والأعداء.. وسيكون اكتشاف حقيقة شخصيتك هو حكم بالاعدام بالنسبة لك

— تماما ياسيدي.

— ولن يكون معك أي نوع من السلاح. ولن تكون هناك أي اتصالات معنا.

— سبق وان عرفت ذلك يا سيدي.

— اذ نسيت أي شيء عن شخصيتك الجديدة ذكرياتك . لكنتك الخاصة اصدقاءك . طريقتك الخاصه في المشي سيكون معنى ذلك هو انكشاف امرك في الحال.

ــ لقد درس تفاصيل ذلك الضابط « جاك بريموس » بدقــة يا سيدي . ان هناك اكثر من عشرة الآف معلومة عنه حفظتها جيداً وتجيب نفسي ممارستها اثناء اطلاع عني الأيام السابقة

ــ هذا حسن جدا.. وبخصوص عملك ؟

ــ اني ضابط أول معرفة التحكم، ومهمتي هي مراقبة اداء المفاعل النووي والتحكم في قدراته وتشغيله، والتحكم كذلك في المحركات ومقدار ما يصلها من طاقة من خلال المفاعل

ــ وتفاصيل عملك ؟

ــ لقد درست كافة التفاصيل في المركز التكنولوجي بادارة الفرع ب سيدي بل ودرست تفاصيل عديدة وكافية عن بقية الأعمال في الغواصة.

ــ هذا حسن جدا انه يجعلني اطمئن ولو قليلا عليك في المهمة القادمة ونظر إلى ماجد بنظرة صوبية صقيلة وهو يقول بحذر . اتدرك مخاطر وصول هذه الغواصة سالمة إلى الاعداء ؟

ــ اني ادرك ذلك تماما يا سيدي ولن يحدث هذا أبداً إلا إذا قتلوني أولاً هز « م » رأسه ببطء، كان لا يميل كثيراً إلى استخدام الكلمات الحماسية لتحفيز رجاله، خاصة إذا كانوا من طراز ماجد وأخيراً ألقى السؤال الذي كان يشغله ما هي خططك لتخريب الغواصة ومنعها من الوصول إلى العدو ؟

ــ لقد وضعت ثلاث خطط يا سيدي لا أستطيع الجزم أيها سينجح، فهذا يتوقف على الظروف التي سأواجهها . وأول هذه

الخطط هي اغلاق ابواب تصريف المياه من الغواصة وتغطيتها حتى لا تستطيع الصعود لأعلى، ثم نسف اجهزة التحكم في السفينة واغراقها اثناء اشتعال بحارتها وضباطها بمحاولة فتح الأبواب. أما الخطة الثانية فهي تعطيل اجهزة تبريد المفاعل النووي. وانت تعلم يا سيدي أن المفاعل النووي داخل الغواصة يتطلب تبريداً مستمراً له لما يصدر عنه من حرارة شديدة من مفاعلات الماء الثقيل، وأن أي خلل في جهاز التبريد يعني كارثة وانفجار المفاعل النووي بفعل الحرارة الشديدة. أما اذا لم اتمكن من الوصول إلى المفاعل النووي لأي سبب فلن يكون امامي سوى تفجير الطوربيدات التي تحملها الغواصة في مقدمتها، وبذلك ستنسف الغواصة نسفاً بمن عليها ويكون مصيرها قاع المحيط.

ــ ولكن..

اعرف ما تريد أن تقول يا سيدي. ان الموت والحياة لدي يستويان متى تعلق الأمر بمصير بلادي. انني بالطبع سأبذل كل جهدي للنجاة، ولكن إن لم يكن من سبيل إلى ذلك فإنني لن أتردد في أن يكون حياتي ثمناً لهذه العملية ونجاحها.

أمسك « م » ماجد من كتفيه وهزه بقوة وقال متأثراً: لا أدري ما هي الكلمات المناسبة لأعبر لك عن شعوري.

ــ لا عليك يا سيدي. والآن هل هناك تفاصيل خاصة أخيرة ؟

ــ نعم. لقد جاء تقرير أخير من رجالنا بأنه ستجرى عملية تمويه سرية، حيث ستغوص الغواصة من احدى القواعد العسكرية شواطئ

المحيط الأطلنطي إلى « السويد » كأنها تقوم برحلة عادية، حيث يتغير طاقمها ويحل محله طاقم ملاحي من ضباط وملاحي العدو، وتبحر الغواصة في سرية إلى شواطئ الأعداء وسوف تتم عملية تبديلك بالضباط في السويد لأن ملاحي الغواصة يقيمون في أحد الفنادق الكبيرة قريبا من ميناء « جوتنبرج » السويدي

— ومتى ستصل الغواصة إلى ميناء السويدي ؟

— بعد يومين وخلال هذه المدة ستكون قد حللت محل « جاك بريموس » وسنتولى نحن التخلص منه بعد ذلك والآن هل هناك أية أسئلة ؟

— لا يا سيدي

— حسنا.. ستقلع طائرة خاصة بك إلى السويد وستتركك قريبا من الشواطئ السويدية في « جوتنبرج » وستكون حر التصرف بعدها

— سأكون عند حسن ظنك تماما سيدي

وحيا ماجد رئيسه بقوة ثم اندفع خارجا بخطوات مستقيمة تشوبها عرج خفيف في القدم اليسرى كانت بها إصابة قديمة

وزفر « م » زفرة قوية وهو يراقب ماجد، ثم غرق في أفكار عميقة

* * *

« الطريق إلى الجنة.. يبدأ بجهنم! »

أبطأت الطائرة من سرعتها وهي تطير على ارتفاع منخفض فوق الشاطئ السويدي في بقعة نائية من مدينة «جوتنبرج».

كان الشاطئ مقفرًا ينتشر فوقه عدد من الصخور الحادة، وتصطدم مياه بحر الشمال بشواطئه في عنف في ذلك الوقت البارد من شهر فبراير، وقد انخفضت درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر بعشر درجات على الأقل.

وانفتح باب قرب مؤخرة الطائرة ظهر ماجد في مدخله، وقد ارتدى ملابس ثقيلة ومظلة خلف ظهره وحمى وجهه وعينيه بنظارة كبيرة.

رفع ماجد أصابعه بعلامة النصر، ثم ألقى بنفسه خارج الطائرة، فصفعه الهواء البارد كالرصاص في وجنتيه وأنفه، وتأرجح ماجد هابطًا بسرعة والرياح مندفعة بشدة جهة الشمال. ولم يشأ أن يفتح مظلته على الفور حتى لا تدفعه الرياح إلى منطقة بعيدة. وفي اللحظة

المنسية فتح المظلة فتأرجحت بشدة وامتلأت بالهواء ودفعته الرياح واتجاهها في تلك لحظة مصفقة . وجاهد ماجد حتى جاءت سقطته فوق بقعة مضيئة يسودها السكون، إلا من عويل الريح وتلاطم الأمواج بشاطئها.

وشرع ماجد يجمع مظلته وأخفاها في حفرة سدها بصخرة كبيرة، وتخلص من نظارته وما زاد عن حاجته من الملابس دفنه في نفس الحفرة.

وكان لدى ماجد خريطة صغيرة للموقع الذي هبط فيه، وعلى هديها اتجه جهة الشمال الغربي، وبعد نصف ساعة من السير المتعثر فوق الأرض الصخرية القاسية، ظهر شريط أسود طويل من الأسفلت يمتد تجاه قلب المدينة. ووقف ماجد وهو يرتجف من قسوة البرد الذي كاد يطيح به فوق الطريق. لم تكن معه أية أوراق، وكان يرجو أن تسير وفقا لما تم التخطيط لها، بدون أن يعكر بدايتها أي حادث غير متوقع.

وكما هو محدد تماما من قبل كانت هناك سيارة صغيرة تنتظره بالقرب من الطريق، وبداخلها مفاتيحها وتحيات السيد « م ». وأسرع ماجد يدلف بداخلها ويفرك يديه بقوة طلبا للدفء. وأدار محرك السيارة وانطلق بها صوب قلب المدينة

كان الطريق خاليا إلا من بضع سيارات عابرة، وقد راح الثلج يهطل بشدة بعد دقائق. وأخيرا لاحت أضواء المدينة وقد أوشك

للظلام أن يحل على المكان. وكانت هناك أضواء خافتة بعيدة وقد غطت صفحة السماء أكداس من السحب الثقيلة.

وفجأةً اقتربت سيارة شرطة من ماجد وهي تطلق سرينتها، ولوح له قائدها أن يتوقف بجوار الطريق، ودق ماجد بشدة، لم يكن لديه أية أوراق، ولو سأله الضابط عن أوراقه أو جواز سفره لصار في موقف حرج.

امتثل ماجد لأمر الضابط وأوقف سيارته، وتوقفت سيارة الشرطة أمام ماجد وهبط قائدها، فاتجه نحوه وتفحصه لحظة ثم سأله: لماذا لم تربط حزام الأمان وأنت تقود سيارتك؟

تنبه ماجد إلى خطئه. ففي «أوروبا» عامة يربط سائقو السيارات حزام الأمان الذي يشدهم إلى مقاعد سياراتهم لتقيهم من الاصطدام بزجاج السيارة عند وقوع الحوادث. وعلت وجهه مسحة غضب ووجوم. فقد أنسته سرعته ولهفته ذلك.

قال ماجد للضابط بالفرنسية: إنني آسف أيها الضابط. لقد كنت متعجلا فنسيت ذلك.

سأله الضابط بالإنجليزية: ألا تتحدث الإنجليزية؟

تظاهر ماجد بعدم فهمه لما قاله الضابط وهز كتفيه في حيرة وهو يقول: إنني لا أتحدث غير الفرنسية.

قال الضابط بالإنجليزية: أعطني أوراقك.

تظاهر ماجد بأنه لا يفهم. وعاد الضابط يقول بإصرار بالانجليزية : جواز سفرك.. دعني أراه.

تأكد ماجد أن الأمور ستسير إلى أسوأ، وأن الضابط لن يتركه حتى يشاهد أوراقه، فتظاهر بالبحث عن أوراقه في تابلوه السيارة، وأن التابلوه لا ينفتح ومد الضابط يده يساعد ماجد في عمله. وكان هذا هو ما يريده ماجد بالضبط

وبحركة خاطفة جذب ذراع الضابط للداخل، وبضربة قوية من سيف يده فوق رقبته المكشوفة ترنح الضابط ثم تهاوى على الأرض فاقد الوعي.

أسرع ماجد وحمل الضابط وأرقده في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة، وأغلق بابها وهو يقول للضابط المسيّحي الفاقد الوعي: نوما هنيئا أيها الضابط.. إن النعاس يكون أحياناً عادة سيئة خاصة لمن هم في سنك وتذكر حزام الأمان الذي نسي ربطه. وقال لنفسه . النسيان أيضا عادة مرذولة !

وعاد إلى سيارته واندفع بها للأمام بسرعة كبيرة لا يحتملها محرك العربة الصغير سار ماجد على هدى الخريطة مخترقا قلب المدينة تجاه مينائها وكانت الخريطة تحدد مكان المرسى الكبير الذي تقيم فيه ملاجئ الغواصة من الأعداء الذين يتصورون وصولها لتدميهم مكان ملاجيها الأصليين والغوص إلى بلاد الأعداء اوقف

ماجد سيرته على مقعدة وظهر له المنزل على البعد بأضواء شاحبة بحوائطه الأربعة ومساحته الشاسعة لأشجار التي تشغل أكثر من فدانين وبدت أشباح عديدة خلف زجاج النوافذ المضاءة.

وكانت هناك خريطة أخرى تحدد تفاصيل المنزل من الداخل بدقة وكان « جاك بريموس » يشغل حجرة صغيرة بالطابق الثاني مع زميل له يدعى يعقوب، وقد قضى الاثنان فترة تدريب طويلة بإحدى الدول الأوروبية للتدريب على قيادة الغواصات الجوية وكان على ماجد أن يستدرج « جاك » خارج حجرته بأي وسيلة، أو أن يتخلص منه ويحل محله قبل الصباح ويخفيه في مكان خاص تم الاتفاق عليه من قبل، ليسهل لعملاء القسم الخارجي التخلص منه فيما بعد.

أعتق ماجد أبواب سيارته، واقترب متحاذرا من سوار المنزل الكبير وسمع على ضوء لمبة شاحبة في مدخله عددا من الحراس وهم يحومون بكلابهم البوليسية الضخمة من فصيلة « البوكسر » توقف ماجد قليلا كي يحدد الكلاب بدقة، ولا بد أنها ستنبح بشدة إذا حاول الاقتراب من أسوار المنزل المشيدة من الأسمنت المسلح كأنها قلعة حصينة.

وعلى البعد لمح عدة أشباح لحراس يدورون حول الأسوار بكلابهم في دوريات لا تنقطع. تضاعف توتر ماجد.. كانت الحراسة شديدة، عليه أن يبحث عن وسيلة لدخول المنزل بدون إثارة أي ريبة.

وفي تلك اللحظة اقترب منه رجل رث الثياب بذقن نابتة وملامح متعبة ومعطف كالح ممزق في أكثر من موضع وهو يمسك بزجاجة خمر فارغة.

ومد الرجل يده إلى ماجد وهو يترنح قائلا: إنني بحاجة إلى زجاجة نبيذ يا سيدي.. إن كثيرين من قبلك ساعدوني بزجاجة نبيذ دافئة فأرسلتهم إلى الجنة بدعواتي الصالحة.. وسوف ألحق بك هناك بعد أن أشرب النبيذ! في هذه اللحظة لمعت الفكرة في عيني ماجد وهتف في الرجل: حسنا أيها السكير.. إن الخمر ومن يحتسونها يكون مكانهم عادة جهنم وليست الجنة، ولسوف أرسلك إليها فورا.

حدق الرجل مندهشا بدون أن يفهم شيئا: ماذا تقول يا سيدي؟

— ألا تريد حسنة؟

— خمسون دولارا فقط يا سيدي فقد ارتفعت أسعار النبيذ هذه الأيام!!

— حسنا.. هذا ما أستطيع أن أقدمه لك إذ أنني لا أملك دولارات وهوى ماجد بقبضته فوق رأس السكير، فترنح الرجل فاقدا الوعي وسقط بين ذراعي ماجد.

أسرع ماجد نحو سيارة نقل كبيرة تقف على مقربة وفتح بابها، ثم دس الرجل في مقعد سائقها، وأخرج ماجد من جيبه مفتاحا

الكترونيا دسه في « كونتاكت » السيارة، وأداره فهدرت محركات السيارة مبددة سكون المكان.

غمغم السكير بكلمات لا معنى لها، واحد يترنم باغنية سويدية شائعة عن محبوبته التي ستنظره بجوار المدفأة والاوقات السعيدة التي تنتظره هناك! قال ماجد باسما - لسوف ارسلك إليها حالا فلا تتفحص الدفء.. فلسوف تنال منه ما يشعل نارا في عظامك.

وضغط ماجد فوق دواسة البنزين وهو يقول للسكير: إلى الجنة يا صديقي وانطلقت السيارة هدرة تشق الطريق للأمام بسرعة بالغة..

وقفز ماجد من باب السيارة المفتوح والسيارة تواصل اندفاعها الرهيب كأنها جبل متحرك نحو ابواب المنزل، والسكير بداخلها لا يزال يترنم بمعشوقته التي هي في مثل جمال « فينوس » وشعرها سنابل القمح، وصوتها الذي هو كتغريد طيور الربيع والجنة الموعودة التي تنتظرهما سويا! وفجأة تنبه السكير وأسوار المنزل تقترب منه بسرعة بالغة.. وجحظت عيناه الرجل وطارت الخمر من رأسه.

ولم يكن هناك وقت يفعل اي شيء. ولا حتى الصراخ واصطدمت مقدمة السيارة بأسوار المنزل بصوت داوٍ شق سكون الليل.

وعلى الفور تعالى نباح الكلاب، واندفع الحراس نحو السيارة

المحطمة وقد أشهروا مسدساتهم، وقفزت الكلاب نحو السيارة المحطمة وهي تعوي عواء رهيبا.

فتح السكير الباب ذاهلا. كان اصطدام السيارة قد أصابه في جبهته فسال منها الدماء وتحطم ذراعه، وما كاد يطل خارج السيارة وشاهد الحراس الشاهرين مسدساتهم ونباح الكلاب المجنون حتى تمتم ذاهلا: يبدو أنني أخطأت الطريق إلى الجنة. هذه لا يمكن أن تكون إلا جهنم!

صرخ أحد الحراس: أيها السائق السكير. لقد حطمت السور. واندفعت الكلاب نحو السكير وأخذت تعضه والمسكين يصرخ متألما في ذعر شديد، وانهال الحراس عليه ضربا ولكما.

وصرخ السكير مستنجدا: إنني بريء. إنني لست سائق هذه السيارة ولا أعرف عنها شيئا.

توقف الحراس مندهشين، وسأله قائدهم: وما الذي دعاك إلى ركوبها والاصطدام بالسور؟

رفع السكير يده إلى السماء كأنه يصلي قائلا: لقد أتى ملاك من السماء طلبت منه خمسين دولارا لشراء زجاجة نبيذ لدخول الجنة فقال إنه سيرسلني إليها بلا نبيذ!

صاح قائد الحراس: إنه يهذي فهو سكير.

وأمسك زجاجة الخمر الفارغة من السكير وحطمها فوق رأسه

قائلا: هذا كفيل بإرسالك إلى جهنم الحقيقية، فالجنة ليست لأمثالك !

هوى السكير فاقد الوعي، وأشار قائد الحراس إلى رجاله قائلا قودوا هذه الشاحنة بعيدا، والقوا هذا السكير الغبي في أقرب مقلب قمامة، وابعدوا السيارة عن هذا المكان.

أسرع الحراس ينفذون أوامر قائدهم وقد سادهم المرح مما حدث، فقد بدد ذلك شيئا من مللهم وإحساسهم بالبرد الشديد.

شاهد ماجد كل ما حدث في مكان بعيد، وانتهز فرصة انشغال الحراس بالحادث والسكير وهرعهم إلى مكان السيارة وتركهم منطقة الأسوار بلا حراسة، فأسرع يتسلقه من نقطة بعيدة ويقفز إلى قلب الحديقة الواسعة التي تحيط بالمنزل. كانت الحراسة داخل الحديقة منعدمة، وسار ماجد بحذر تجاه المنزل يتوسط الحديقة محتميا بالظلام الذي يسود المكان.

كانت الساعة تقترب من التاسعة مساء، وقدر ماجد أن قاطني المنزل لا بد وأن ناموا مبكرين للمهمة التي تنتظرهم باكرا.

كانت أبواب المنزل موصدة، وكانت جميع نوافذه مغلقة كذلك لشدة البرد، وأي محاولة للدخول منها ستجذب أنظار الحراس خارج الأسوار لوقوعه في مرمى بصرهم.

تسلق ماجد المواسير في حافة المنزل بخفة حتى وصل إلى

السطح، وكان من القرميد الأحمر فزحف فوقه بحذر حتى وصل إلى منتصفه فشاهد مُنوَراً واسعاً يمتد منه عدد من المواسير التي تمد الحجرات بالماء فتسلق ماجد المواسير هابطا لأسفل، وتوقف أمام نافذة أحد الحمامات الطابق الثاني وبآلة صغيرة حادة فتحها بلا صوت وقفز داخل الحمام وهكذا صار في قلب المنزل فأغلق نافذة الحمام ثانية وغادره خارجا منه سار ماجد محاذرا في الطابق الثاني كانت الخريطة الدقيقة التي أعدها عملاء القسم الخارجي تحدد مكان حجرة جاك بالرقم(٣٨) وترسم الطريق إليها. وكان هناك ضوء قليل ينير الردهات الساكنة وسمع ماجد أصوات خطوات قادمة فأسرع يختفي وراء أحد الحوائط وظهر أحد الضباط في ملابس النوم متجها نحو الحمام فهدأ ماجد واتجه بخطوات سريعة إلى نهاية الممر وتوقف أمام الحجرة رقم(٣٨) وأدار مقبضها ببطء فوجدها مغلقة من الداخل.

أخرج ماجد « الماستركي » وأداره في فتحة الباب وبعد لحظة سمع تكة فأدار المفتاح السحري وانفتح الباب بيسر

كانت الحجرة مظلمة فتوقف ماجد لحظة حتى اعتادت عيناه الظلام، وشاهد بداخلها فراشين صغيرين قد رقد شخصان فوقهما وكان هناك دولابان صغيران ومنضدة متوسطة في ركن الحجرة.

اقترب ماجد محاذرا من النائمين، وميز في أحدهما جاك.. وحدق ماجد في ملامح الضابط النائم أمامه فبدا كأنه يشاهد صورة أخرى منه في المرآة أخرج ماجد من جيبه قنبلة صغيرة قربها من أنف

جاك، وسمعل جاك لحظة وتحركت صراعه ثم سكن جسده وقد أثر فيه المخدر القوي. حمل ماجد جسد الضابط وبدل ملابسه بملابس جاك، واتجه خارجاً به من الحجرة.

وفي نهاية الممر حجرة ضيقة تستعمل كمخزن للاشياء معلقة منذ فترة طويلة، وكان مكانها واضحاً فوق لجريطه بعلامة حمراء صغيرة. فتح ماجد باب الحجرة « بالماسوركي »، وطالعته العتمة واشباح الأثاث الملقى في اهمال، وقاد ماجد يتكمم فم وربط ذراعي وقدمي « جاك » ثم مدده خلف بعض الأرائك. وكان واثقاً أن عملاء القسم الخارجي سوف يحصلون على الضابط بعد أن يغادر ملاحو الغواصة لمترب في الغد.

عنق ماجد الحجرة خلفه وعاد ادراجه إلى الحجرة رقم (٣٨)، وما كاد يفتح بابها حتى فاجأه صوت من الداخل يقول: اهذا انت يا جاك؟

همس ماجد بعمق.. كان عليه منذ تلك اللحظة أن يكون هو « جاك بريموس » بآلاف التفاصيل الدقيقة عنه. وكان يعلم تماماً أن أي خطأ صغير قد يعني حياته.

اجاب ماجد بهدوء وبلكنة « جاك » التي ينطق بها بالانجليزية قائلا: اين هو يا « يعقوب »؟ لقد ذهب إلى الحمام.

ضل « يعقوب » من تحت غطائه وأثار النعاس في عينيه، واهتز شاربه بتكبير وهو يقول: عليك بك ألا تشرب كثيراً من البيرة

ــ انت تعلم اني لا أستطيع النوم قبل شرب عدة اقداح منها. تثاءب « يعقوب » وهو يتقلب فوق فراشه قائلا حسب لنحلد إلى النوم فإن امامنا عملا شاقا سيبدأ من الفجر

وأخفى « يعقوب » وجهه اسفل غطائه. وابتسم ماجد وقد سرى شيء من الطمأنينة في دمائه لقد نجح في اول اختبار لشخصيته الجديدة. وكانت اهم المعلومات التي حصل عليها قسم العمليات الخارجية عن « جاك » بريجوس » تقول انه من أصل سويدي ويتحدث الانجليزية بلكنة خاصة شأن من تعلموها من أهل الشمال في مدارسهم، كما كان اعزب لا أسرة له ويشرب البيرة بكثرة، حتى يكاد يفقد وعيه.. بالاضافة الى ميله الشديد للدخول في مشاجرات صاخبة حالما تؤثر فيه البيرة، كما انه ملاكم قوي. أما قدمه اليسرى فأصيب فيها بكسر قديم اثناء احدى المشاجرات التي اندفع فيها ضد عشرة اشخاص على الأقل في « بيودتهي » عندما سب أحد البوديين الهنود فكانت مشاجرة رهيبة خرج منها بتلك الاصابة. كما أن الرؤساء رفضوا احالته للتقاعد بسبب مهارته وحاجتهم إليه في قيادة الغواصة الحديثة. ابتسم ماجد في الظلام، فجاك شخصية عجيبة وكان عليه أن يكونها بكل تفاصيلها

تمدد ماجد في الفراش الدافئ كان عليه أن ينام على الفور، فأمامه عمل شاق بالفعل في الغد، كما قال رفيقه في الحجرة، ولكنه عمل لا يمكن أن يتخيله « يعقوب » على الاطلاق، والا لشاب شعر شاربه الأشقر وتحول إلى لون الشحم !

« في قلب السمكة المتوحشة »

في الخامسة فجرا دوى نفير داخلي، وعلى الفور دب النشاط في المبنى العريض وخلال خمس عشرة دقيقة بالضبط كان الضباط والبحارة يصطفون خارج المبنى بملابسهم الملاحية وقد انتظموا في خمسة صفوف طويلة الضباط في الأمام والبحارة خلفهم

ووقف كابتن الغواصة « راكي سيداس » يفحص رجاله بنظرة ضيقة متجهمة من عينيه اللتين تشبهان عيني ذئب اعتاد السلب والخداع كانت له قامة طويلة ووجه حاد قاسي الملامح وشفتان غليظتان متشققتان بلون قاتم، والخدان قد انتشر فيهما آثار جروح قديمة. وكان كما قرأ ما كتب عنه في الملف الخاص به الذي اطلع عليه في مقر ادارة فرع العمليات الخارجية، كان إلى وقت قريب احد المرتزقة الذين حاربوا في فيتنام والسلفادور ثم انضم إلى الاعداء في سلك البحرية، وأهلته وحشيته وخبرته السابقة الى التدرج بالقوات البحرية للعدو حتى رتبة عاليه، وتم ايفاده بعدها في بعثة سرية لقيادة الغواصات الذرية أنهاها بنجاح.

اما مواصفاته الشخصية فهي أنه « يميل للعنف الشديد بلا رحمة حتى مع جنوده وسحارته وضباطه، قاسٍ لا يعرف التردد أو الخوف، يُقال انه قتل عشرين امرأة وطفلاً في مركب الحوية سفسه في احدى القرى انتقاما من إلقاء احد الأطفال حجراً صغيراً عليه »

تقدم الكابتن يفحص رجاله بعيون كالصقر واقترب من ماجد وهو يدقق فيه بعينيه الدنيئتين. ولكن ماجد لم يطرف له جفن ووقف منتصبا بلا حراك حدق الكابتن « راكي » في ماجد لحظة ثم تجاوزه وأخيراً أنهى فحص رجاله وتوقف أمامهم غير مبالٍ بالرياح الباردة العاصفة التي كانت تهب على المكان وقال الكابتن بصوت جهوري خشن لقد حانت اللحظة أيها الرجال حانت اللحظة التي انتظرناها طويلا.. القوة الرهيبة القوة المدمرة. سوف تمسكها بلادنا فتصير هي الأعظم والأقوى. وسنكون نحن مالكي هذه القوة ورجالها سنكون نحن من ضمن هؤلاء القلائل الذين سيطرون على هذا العالم الواسع الغبي، فالويل للضعفاء والغافلين والنصر لنا ولبلادنا. هتف الضباط والسحارة بصوت داوٍ « النصر لنا ولبلادنا » وكرروا العبارة ثلاث مرات، ولكن ماجد ظل صامتا لا ينطق وقد اعتراه غضب جاهد في كتمانه

والتفت « يعقوب » إلى ماجد متسائلا بدهشة : لماذا لم تردد التحية وتمنيات النصر لبلادنا ؟

اجابه ماجد. انني مصاب ببرد يؤلم حلقي.

ضحك يعقوب قائلاً: لا بد أن بيرة الأمس كانت مغشوشة!

وأقلت سيارتا توبيس كيرون استقلهما الجميع فانطلقت بهم تتجاوز سور المنزل خارجة تجاه الميناء فوصلته بعد ربع ساعة.

كان الميناء لا يزال ناعساً فلا حركة أو حياة في المكان، وأدرك ماجد أن المسئولين عن العملية اختاروا ذلك التوقيت المبكر كي لا يشك أحد بما يجري في سرية تامة. وكانت هناك سفينة صغيرة في ركن قصي في الميناء استقلها الجميع فانطلقت بهم مبحرة في قلب بحر الشمال.

قال ماجد «يعقوب»: كنت أظن بأننا سنستقل غواصة قريباً من الشاطئ.

رد «يعقوب»: لا، فربما أن ظهور غواصتنا قريباً من الشاطئ سيلفت الأنظار ويكشف العملية كلها، هذا بالإضافة إلى أن موقف حكومة «السويد» الرسمي من دخول الغواصات النووية إلى شواطئها، ولولا الضغوط التي مارستها بلادنا عليها ما وافقت على استضافتها للعملية، وإن كانت اشترطت أن تتم العملية خارج مياهها الإقليمية.

وساد الصمت والسفينة تشق صفحة البحر بأقصى سرعتها والظلام الدامس لا يزال يطبق على أنفاس البحر.

واستمر الإبحار بالسفينة ما يقرب الساعة قطعت خلالها مسافة

أربعين كيلومترا، وبدأت خيوط الفجر تظهر في السماء فتبدد سوادها الكحلي بأشعة بيضاء باسمة.

خفف سرعة السفينة حتى هدأت تماما، وقال «يعقوب» الآن صدر الخروج عبر الفتحة العلوية. ستظهر سمكتنا المتوحشة حالا! وساد الصمت على الواقفين بالسفينة وهو يرقبون صفحة الماء، ولا يدرون من أي جهة ستظهر الغواصة. همس يعقوب بماجد كي يعطي الفرصة لإثارة. حانت من ماجد لفتة إلى الكابتن «راكي» قائد الغواصة فشاهده واقفا في مقدمة السفينة وقد زم شفتيه بقسوة شديدة وجمدت عيناه على صفحة الماء لا ترمشان، كأنه صنم من الصخر.

وفجأة تعالى صوت هدير ضخم أشبه بصوت شلال متدفق وإلى اليسار على مسافة أقل من خمسين مترا ظهرت رغوة كبيرة من الزبد، بها ما يشبه جناحين صغيرين على جانبيها يعلو فوقها عدة أنابيب ومواسير. وراحت الرغوة تعلو عن سطح الماء وصوت الهدير يتعالى.. وأخيرا ظهر بدن الغواصة ضخما رهيبا كأنه حوت عملاق في الماء أخرجته قوى مجهولة. علا هتاف البحارة والضباط يشق عنان السماء. وتأمل ماجد بدن الغواصة الرهيب. كان طولها يصل إلى أكثر من ستمائة متر وعرضها يزيد عن الخمسين مترا في منتصفها. وكانت مطلية من الخارج باللون الأزرق الذي يشبه لون مياه المحيط. وكانت تبدو في جملتها وهي راقدة على صفحة

الماء كأنها وحش خرافي رهيب تتصاعد بجواره أعتى الأسلحة والوحوش. وزأر الكابتن «زكي» بصوت قاس مهدد: ماذا تنتظرون أيها الأغبياء. اعدوا الزوارق المطاطية.

على الفور اندفعت مجموعة من البحارة إلى ركن السفينة وكشفوا عدداً من الصناديق كان بداخلها زوارق مطاطية فارغة، ما إن انتزعوا سداداتها حتى امتلأت بالهواء. وأسرع البحارة يلقون بالزوارق إلى الماء ويقفزون إليها ويجدفون إلى الغواصة. وعندما وصلوا إليها وقفزوا إلى سطحها كانوا أشبه براغيث الماء التي تتقافز فوق حوت عملاق.

وأسرع الضباط أيضاً يستقلون زوارقهم المطاطية إلى الغواصة وبتنظيم البحارة والضباط فوق سطحها خرج من جوف الغواصة بحارتها وضباطها وقائدهم الذي صافح الكابتن «زكي» وهو يقول له: ها قد حصلتم على وحشكم الخرافي فأحسنوا استخدامه لمصلحتكم.

رد «زكي» بجفاء: إننا أدرى بمصلحتنا.

والتفت إلى رجاله هاتفاً: هيا يا رجال. كل إلى موقعه داخل الغواصة. على الفور اندفع الضباط والبحارة داخلين إلى جوف الغواصة من فتحتها الأمامية قرب مقدمتها، والتفت «زكي» إلى القائد وبحارته قائلاً بسخرية: أمامكم ثلاث دقائق لتستقلوا السفينة وتبتعدوا بها عن هذا المكان، وإلا فإن سمكتنا المتوحشة قد يغضبها إبطاؤكم

واندفع إلى قلب الغواصة واغلق فتحتها، وقال قائد الغواصة بعصبية: هذا المجنون الاحمق. ألم يكفه ما ارتكب من جرائم وحشية حتى يدفعوا إليه بهذه الغواصة الذرية الرهيبة ليكون قائدها انه قد يشعل بها نيران الحرب العالمية الثالثة

ولم يكد القائد يتم عبارته حتى انغرزت الغواصة من تحته وبدأت تغوص في الماء. وصرخ القائد بذعر: اقفزوا إلى زوارق النجاة بسرعة.. هذا الكابتن غبي مجنون.

وأسرع البحارة والضباط فقفزوا إلى الماء البارد كالثلج وهم يرتجفون. وفي قلب الغواصة كان الكابتن «راكي» يراقب ما يحدث في الخارج من خلال المنظار وبدت عليه سعادة شديدة، والتفت إلى مساعده وهو يخبط بدن الغواصة بعيون تلمع ببريق مخيف قائلا: الآن صرنا إحدى القوى العظمى في العالم. فلا يحق لأحد توجيهنا حتى لو كانوا من اعضونا هذا الوحش الجميل!

واخذ يقهقه بسعادة ثم التفت إلى مساعده قائلا: والآن ناد في الميكرفون الداخلي على جميع الاقسام واطمئن إلى انتظام الجميع في اماكنهم واعمالهم.

ـــ امرك يا سيدي.

وعلى الفور شرع المساعد في الاطمئنان إلى حُسن سير العمل داخل الغواصة. كانت الغواصة مقسمة إلى عدة اجزاء. ففي مؤخرتها تقع رغفة الوحدة الخلفية وورائها المروحة. وإلى الأمام غرفة

المحركات يليها غرفة التحكم بالمحركات والمفاعل، ويجاورها غرفة المفاعل النووي ثم غرفة القذائف في منتصف بدن الغواصة، وهي الغرفة التي تحتوي على القذائف النووية ويستحيل دخولها مع المفاعل النووي من خلال بوابة الالكترونية إلا ببطاقات خاصة ممغنطة وأما القسم الأيسر من الغواصة فهي مقدمة غرفة الطوربيد يليها المطبخ وقسم اقامة البحارة، يعلوه قسم قمة الصاعد، وفي قمة الغواصة سطح الزعنفة العليا تقع غرفة القيادة

وكان عمل ماجد — باعتباره « حائث بريموس » — كونه أحد الضباط، بغرفة التحكم، وهي الغرفة التي تقع خلف المفاعل النووي مباشرة ويطلق عليها بصفة « غرفة العمليات » ولها مهام عديدة. ففيها تتجمع كل المعلومات التي تعتمد عليها الغواصة في سيرها وغوصها في الأعماق، وهي تحدد مكان الغواصة بالضبط من خلال حاسباتها الآلية، وبها من أجهزة الاستماع والالتقاط ما يمكنها من التقاط أصوات الأسماك الصغيرة التي تسبح حولها، والتقاط أصوات السفن والغواصات على بُعد عشرات الكيلومترات كما أنها تتحكم في إطلاق كافة أسلحة الغواصة وبداخلها أجهزة تقيس مستويات الإشعاع النووي والإبلاغ عن أي تسرب إشعاعي على الفور لمعالجته، وفيها أيضا يتم التحكم بقدرة المفاعل النووي وتشغيله

وكان وجود ماجد في حجرة العمليات يمثل تيسيرا كبيرا في مهمته، ويسهّل عليه عطاب الغواصة في الوقت المناسب بأي وسيلة.

كان ماجد مسئولاً عن مراقبة اداء المفاعل النووي والتحكم في طاقته، وكانت امامه شاشات الكترونية صغيرة امتلأت بمفاتيح صغيرة وحاسبات آليه ذات مهارة فائقة راح ماجد يتعامل معها كما لو كان قد عمل عليها سنوات طويلة من قبل

وعلى يمينه جلس « يعقوب » يتابع عمله في متابعة اجهزة التنصت خارج الغواصة، والتي تلتقط كل الاصوات التي تدور حولها على بعد كيلومترات بعيدة مهما كانت ضآلتها

والتفت « يعقوب » إلى ماجد باسما وهو يقول : ستكون رحلة موفقة إلى بلادي. رد ماجد باسماً : ستكون موفقة أكثر مما يظن أي شخص اخر وارتسمت فوق وجهه ابتسامة غامضة فالوحيد الذي يستطيع تفسيرها يجلس هناك على بعد آلاف الأميال داخل رئاسة فرع عمليات الخارجية . وكان يدعى اختصاراً السيد « م » !!

* * *

« انكشاف »

قال مدير الشرطة للضابط: ألا تتذكر ملامح ذلك الرجل؟ قال الضابط وهو يتحسس رقبته في موضع الضربة المؤلمة التي أرقدته في غيبوبة نصف يوم: لقد كان طويلا ببشرة وردية بها بعض النمش وأنف صغير وعينان زرقاوان. كما أن له يدين قويتين جدا يا سيدي. قال مدير الشرطة بقلق: إن لدينا متسولا قبضنا عليه أمس وكان يهذي عن « ملاك » وضعه في سيارة نقل حطم بها سور منزل ل. وهنا يكمل مدير الشرطة عبارته وضاقت عيناه أكثر وهو يقول. إن نفس الأوصاف التي أدلى بها السكير عن هذا « الملاك » تنطبق على أوصاف ذلك الرجل الذي اعتدى عليك.. فهل ثمة علاقة بينهما، وهل هو نفس الرجل؟

وفجأة هب واقفا وهو يقول: يا إلهي لا شك أن ذلك الرجل عميل لمخابرات احدى الدول وأراد التسلل إلى المعرض الذي كان يقيم به افراد العواصة، واضطر لاختلاق تلك الحادثة بتحطيم السور باستخدام ذلك السكير وانتهز الفرصة متسللا إلى داخل المنزل والقيام

بعمل ما. ونظر إلى الضابط وأكمل ولا شك أنه اعتدى عليك لأنه لا يملك اوراقاً يقدمها لك وحتى لا يكشف شخصيته
تساءل الضابط بقلق وما العمل يا سيدي ؟
ـ الاتصال فوراً بالقيادة واخبارها بما جرى.. ان هناك ما يوحي بأن أفعالا غير عادية ستحدث داخل الغواصة المنكوبة

وبعصبية اشد اضاف لطالما نصحت المسئولين هنا أن يبتعدوا عن هذه المسألة وألا يورطوا فيها.. وها هي قد صدقت ظنوني واندفع الى جهاز تليفون خاص يتصل بوزير الداخلية.

كانت الرسالة العاجلة التي وصلت إلى السيد « م » برقية شفرية تقول اكتشفت الشرطة السويدية أن هناك عملا تخريبيا سيجري داخل الغواصة « السمكة المتوحشة » عن طريق عدة دلائل، وهم يعتقدون أن احد ضباط الغواصة تم استبداله بآخر تابع لدولة عربية، وان كانوا لم يحددوا شخصيته بالضبط.. وقد تخلصنا من « جاك بريموس » وكذلك السيارة الصغيرة

انتهت الرسالة. وارتسم الوجوم الشديد على وجه السيد « م ». كانت تلك اسوأ أنباء يتوقع سماعها.. فقد كانت تعني أن افضل عميل في الجهاز بالكامل قد انكشف امره أو كاد وأن مسألة العثور والقبض عليه هي مسألة ساعات قلائل فقط. ووقتها لن تكون له فرصة في النجاة وسط مائة من الاعداء يحاصرونه من كل اتجاه داخل الغواصة.

رأى « راكي سنداس » كابتن العواصة وهو يقول لمساعده : ماذا تقول ايها الغبي ؟

قال المساعد بقلق شديد : هذا هو مضمون الرسالة التي تلقيتها تواً من الشرطة السويدية . انهم يقولون إن لديهم شكوكا أن أحد ضباط الغواصة قد تم استبداله بآخر للقيام بعملية تخريبية داخل الغواصة.

هتف « راكي » بعصبية . هذا غير ممكن . مستحيل . لقد كانت الحراسة على اشدها.

ــ انهم واثقون مما يقولون يا سيدي . وها هي اوصاف الضابط.

ألقى « راكي » نظرة إلى الورقة التي قدمها له مساعده وغمغم قائلا : إن هناك عشرة ضباط تنطبق عليهم هذه الأوصاف تقريبا، ولن يمكننا اكتشاف ذلك الضابط فلا بد انه قام بتغيير ملامحه ليكون مشابها تماما للآخر الذي حل محله . وسوف نثير ذعراً شديداً في الغواصة إذا ما أخبرنا الجميع بما حدث

ــ وما العمل يا سيدي ؟

اغمض الكابتن « راكي » عينيه ثم فتحهما وكان يلمع فيهما بريق غريب متوحش وقال : استدعي لي بحارتي العشرة

تساءل المساعد بدهشة : اي بحارة يا سيدي ؟

هتف الكابتن بغضب جامح : ألا تدري أي بحارة أيها الغبي انهم رفاقي الذين قاتلوا معي من قبل واحرزنا سويا انتصارات

عصيمة. إنهم أبطال رهيبون لا يعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم، ويقتل أحدهم أسهل من التهام الطعام، ويعرف بكل منهم مدفعا رشاش سريع الطلقات، يجري بهم في سحاب

ولكني مضطرب رهيب. سوف أمسك هذا المخلوق الذي تسلل إلى غواصتي قبل أن تشرق شمس الغد، وسوف يكون انتقامي منه رهيبا عندما أرسل جثته في طرد إلى من بعثوه إلى هذا المكان

وانطلق يضحك في ضحكة داوية موحشة رهيبة

« تخريب.. لا قيمة له ! »

أخذ الوقت يمر. وكان ماجد يدرك أن عليه ألا يضيع أي دقيقة لأن كل لحظة تمر تكون في صالح أعدائه لا في صالحه وكان يعلم تماماً أن الوقت الذي يفصل وصول الغواصة إلى بلاد الأعداء لا يزيد عن أربع وعشرين ساعة. وخلال هذه الساعات كان عليه التخلص من الغواصة وملاحيها.

وكان عليه في البداية أن يقوم بمحاولة أولية لاستكشاف الغواصة وتحصينانها. قام ماجد يعبث في أحد الأزرار الحساسة في اللوحة الالكترونية أمامه، وبعد قليل أصاب العطل اللوحة كلها فهتف ماجد بصوت غاضب عالٍ: اللعنة على هذه الأجهزة إنها لم تكد تبدأ التشغيل بعد حتى تتعطل. اقترب رئيس غرفة العمليات من ماجد مدهشاً وهو يقول: ماذا حدث أيها الضابط؟

ــ هذه اللوحة الالكترونية يا سيدي إن شاشتها لا تستجيب عندما أضغط على أزرارها وتظل بيضاء خالية. أشك أنها قد تعطلت. أخذ الرئيس يفحص الجهاز والأزرار مندهشاً ثم قال: إنها معطلة



بالفعل. هذا عجيب جداً فقد تم اختبار كل جزء في الغواصة وعطل سائح الجنوبية سوف نضطر إلى ترك هذا الجهاز على حاله لحين وصولنا إلى البلاد وإصلاحه هناك

— إنه عطل في جهاز حساس يا سيدي فهذا الجهاز يقيس درجة حرارة المفاعل النووي وهل تسير بمعدلاتها الطبيعية تبريدها أم لا وأي خطأ فيه قد يسبب كارثة

— وما العمل الآن؟

— سأفحص جهاز التبريد بنفسي فلعل عطباً حدث وليس في الاجهزة الالكترونية

قال الرئيس على معترضا ولكن دواعي الأمن تقتضي حظر دخول غرفة التحكم إلا للمختصين فيها

— أنا مضطر إلى ذلك يا سيدي وإلا فقد ترتفع درجة حرارة المفاعل بدون أن تدري.

فكر الرئيس لحظة ثم قال سأعطيك تصريحا بدخول غرفة التحكم وأبرز الرئيس بطاقة مغناطيسية إلى ماجد فشكره وتوجه خارجاً من غرفة العمليات وكانت غرفة التحكم بالمحركات والمفاعل تقع في النصف الآخر من الغواصة، وما كاد ماجد يخرج من حجرة العمليات حتى فوجئ بمدفع رشاش مصوب إلى صدره وأحد البحارة ممن تبدو الشراسة والإجرام على وجهه وهو يقول بصوت خشن إلى أين أنت ذاهب أيها الصعلوك؟

اندهش ماجد للحظة فلم يكن يعرف ما يجري بالعواصم، وعلى الفور أخفى دهشته وتصنع الغضب قائلاً ماذا تفعل أيها البحار. هل هي محاولة للاستيلاء على العواصم والتمرد على الكابتن «راكي»؟ تساءل ماجد بدهشة هل أمر الكابتن البحارة باعتراض الضباط؟

— ليس كلنا قالها البحار بلا مبالاة وبصق على الأرض!

— وما السبب في ذلك؟

حدق البحار في ماجد بعيون ضيقة، وابتسم ابتسامة ساحرة كشفت عن أسنانه القبيحة المشوهة وهو يقول إن الأوامر التي لدي هي أن أوجه بعض الأسئلة لا أن أجيب عليها هيا أرني بطاقتك وتصريح المرور.

أبرز ماجد في صمت بطاقة «جاك» التي استولى عليها من دولابه بعد أن تخلص منه، ومدها إلى البحار الذي أخذ يفحصها حتى يتأكد من أنها صحيحة، ويقارن بين الصورة المثبتة عليها بغلاف بلاستيكي وبين وجه ماجد

ومد البحار يده يتحسس وجه ماجد فقال له ماجد ساخراً انظر إني ارتدي قناعاً فوق وجهي؟

رد البحار بخشونة: من يدري إن كل شيء جائز في هذا العالم.. هيا أرني تصريح المرور.

أبرز ماجد للبحار تصريح المرور وهو يقول متصنعاً غضباً

شديداً. سوف أشكو ذلك للمسئولين عندما نصل إلى بلادنا.

رد البحار ساخراً: هذه هي أوامر المسئولين فكف عن الشكوى وإلا فإن الأوامر التي لدينا تعطيني الحق أن أوجه هذا الرشاش نحوك وأطلقه على أي شخص يعترضنا!

وتناول التصريح الالكتروني وألقى عليه نظرة متفحصة وتأكد من صحته. وأخيراً سمح لماجد بالمرور.

سار ماجد في الممر المؤدي إلى غرفة التحكم بالمحركات والمفاعل وقد عصفت به أفكار كثيرة. هل اكتشف وجوده داخل الغواصة، هل عثرت الشرطة السويدية على « جاك بريموس » قبل أن يحقنه رجال « م » ومن ثم أبلغوا الكابتن « راكي » بما حدث؟

ولكن لو كان ذلك قد حدث فعلاً لعرف « راكي » على الفور أنه شخص مريب ولقبض عليه في الحال. ثم إطلاق نكاس لبحارة تأمين الغواصة وحراستها من الداخل فهو يعني أنه يشك في أن أحد الضباط قد تم تبديله بآخر لتخريب الغواصة، ولكنه ليس متأكداً من شخصية هذا الضابط.

تأكد ماجد من حرج موقفه، وكان عليه أن ينهي مهمته بأسرع ما يمكن، فاحتمال كشفه أصبح قريباً ما دامت الشكوك قد باتت تهدد بكشف العملية.

وأمام غرفة التحكم كان هناك بحار آخر لا يقل غلظة عن

الأول، وقد بيّن ماجد تصريح الدخول وبطاقة تحقيق الشخصية لأمين المختبر المختص، ثم سمح له بالمرور.

وضع ماجد تصريح المرور في محفظة جيبه بعد تسلمه، وعلى الفور بدأ ماجد الكشف عن غرفة التوسعة بالداخل.

كانت الحجرة عريضة لا يقل طولها عن خمسة عشر مترًا وعرضها عشرة أمتار، وكانت تمتد فيها أنابيب طويلة ومعلقة في سقفها، وكان بعضها يأتي من غرفة المحركات يحمل الماء البارد والمكثفات حيث يتجه الماء البارد والمكثف إلى مبادل الحرارة في حجرة المفاعل النووي، وفيه يتم تبريد درجة حرارة الإشعاع النووي وتخفيضه كما هو متبع في مفاعلات الماء المضغوط.

وكان هناك عدد من المهندسين والعاملين بالحجرة وقد انشغل كل منهم في عمل ما، وكانت هناك بعض الحاسبات الالكترونية والأجهزة الدقيقة في أركان الحجرة.

قرب ماجد من حاسب صغير يقيس درجة الحرارة وأخذ يتفحصه، واقترب منه من الخلف أحد الضباط متسائلاً: ما الذي تفعله أيها الضابط؟

رد ماجد: لقد صدر عطب في جهاز قراءة درجات الحرارة في المفاعل بغرفة العمليات وأريد الاطمئنان إلى سلامة التوصيلات.

هز الضابط رأسه وابتعد، وعاد ماجد يعبث بالأزرار أمامه بطريقة

خاصه وأسقط قطعة رقيقة من المعدن في فتحه صغيرة بها، وعلى الفور تعطل الجهاز وارتسمت خطوط طويلة وعريضة فوق شاشة الجهاز لا معنى لها. وامتدت اصابع ماجد في خفية نحو احد منظمات درجات الحرارة ومفاتيحها واخذ يعبث بها بدون أن يراه أحد. كان لا يدري أي تأثير سيعمله، ولكنه كان مصمما إلى أنه أيا كانت النتيجة فإن أحداً لن يكتشفها بسبب تعطل اجهزة قياس الحرارة.

وهتف ماجد متصنعا الغضب من جهاز قياس الحرارة: إن هذا الجهاز معطل ايضا.. إن هذا عجيب!

اقترب العاملون من الجهاز الذي اصابه الجنون فراح يرسم على صفحته اشكالا غريبة، وتساءل احدهم بدهشة: إن الجهاز يبدو كما لو كان قد اصيب بالجنون، ما الذي فعل به ذلك؟

ماجد: يبدو أن بعض دوائره المغناطيسية قد احترقت.. هذا عجيب.. إن عمرها المفترض سنوات قبل أن يفسد فكيف احترقت بمثل هذه السرعة؟ قال احد المهندسين بقلق: انا لن نستطيع قياس درجة حرارة المفاعل إلا بالطرق اليدوية!

تساءل ماجد: اتعني دخول غرفة المفاعل نفسها؟

رد المهندس: لا.. هذا مستحيل ومحظور تماما. انا سنقوم بقياس الحرارة الداخلة إلى المفاعل والحرارة الخارجة عنه من خلال انابيب المياه ذاتها وهي وسيلة غير مضمونة.

هز ماجد كتفيه وهو يقول: يبدو أنه لا فائدة لوجودي هنا. سأعود إلى حجرة العمليات.

واتجه خارجا عائداً إلى حجرة العمليات، فوجئ بالكابتن «زاكي» في انتظاره!

تفحص «زاكي» ماجد بعيون ضيقة منه، وهو يقول: أخبروني أن عطلا أصاب اجهزتك.

— هذا صحيح يا سيدي، فقد ذهبت لفحصه في حجرة التحكم.

— وماذا وجدت؟

— يبدو أن إحدى الدوائر المغناطيسية احترقت فعطلت الجهاز بالكامل بامتداد وصلاته، ويخبرني العاملون بحجرة التحكم أنهم سيضطرون إلى قياس درجات حرارة المفاعل يدويا.

— هذا شيء سيئ جدا خاصة ونحن في بداية رحلتنا

— تمام يا سيدي

ومرت لحظة صمت، والكابتن يتطلع إلى ماجد بعمق كأنه يخترق ملامحه ويقرأ فكره، ثم غادر المكان دون أن ينطق بحرف واحد.

تنفس ماجد بعمق. كان ثمة إحساس بداخله يوحي له باكتشاف أمره ولكنه تمالك وجلس في مقعده، وسأله يعقوب بقلق: ماذا هناك يا ماجد؟ ليس من المعتاد أن يأتي الكابتن بنفسه في حالة حدوث عطل مثل هذا.

— لا أدري. يبدو أن هناك أمورا غريبة تحدث هنا. هل تصدق

أن بعض سحرة يقفون على أبواب الحراسة ويأتي أحدهم عن
صفقة بحقيبة مسحوسة وتسريح [illegible].
ظهر الاندهاش على وجه «عقوب» وسأل: وما معنى ذلك؟
— لا أدري ولكن سنرى هذه هي أوامر «كاتش» «بكي»
— أظن أن هذا عذر يستند إلى دخول الحقيبة ويخشى «كاتش» [illegible]
من قيامه بتحريبها؟
[illegible] أولى مكتب أن يدفع بحماية الحقيبة
إلى [illegible] لا [illegible] لا أعرف ولقد
[illegible] يشك
في احد الضباط.. إن هذا يفسر الأمر تماما.
— معك حق.. إن الأمر يبدو كذلك.
[illegible] قليلا [illegible] الأمر حتى نصل إلى [illegible]
وهناك سنعرف كل شيء على حقيقته
— ولكن ألا تظن [illegible]
قبل وصولنا الى هناك؟
— وكيف سنعرف من الأبواب الكثيرة [illegible] لا أمل
في ذلك يا صديقي.
[illegible] في صمت والجميع مشغولون [illegible]
يظهر «كاتش» «بكي» مرة أخرى
وعند الظهر ذهب الجميع [illegible] في غرفة الطعام ثم

عادوا إلى عملهم وفي ساعة متأخرة ضعفت الأنوار البيضاء وحلت
محلها أضواء حمراء، وكان هذا يعني أن الليل قد حل في الخارج
وأن الضوء الأحمر سيظل مستمراً إلى أن تشرق الشمس بعد فيختفي
الضوء الأحمر ويحل الضوء الأبيض. دخل غرفته، وذهب الغواصة،
وتمشي بسرعة كبيرة، وبه الغمس وتحول مجموعة حتى مكانهم

بعد فترة من الوقت انتهى عمل الفريق الأول الذي تولى قيادة
الغواصة قائد مساعد شاكر وحل محله فريق ثاني كما هو متبع
في قيادة الغواصات.

وذهب ماجد مع أفراد الغواصة، وضم إلى مجموعة من الضباط
يشاهدون أحد الأفلام يعرض في صالة خاصة، وأخذ يشرب عدداً
كبيراً من أقداح البيرة بيده مثل « ... » في تصرفه تماماً، ...
كرهه لليبيرة ... ثم نهض وهو يتظاهر بالترنح والسكر
سحبه خارج الحجرة لصديقه « يعقوب » يسنده وهو يقول يصفق
أن تكف عن عادتك السيئة في شرب البيرة حتى تكاد تفقد وعيك

فغمغم ماجد بكلمات لا معنى لها، متصنعاً أن البيرة فقدته صوابه
وكان يحاول أن يبدو ضعيفاً لا يحاول أن يثير شكوك أحد، خاصة
وأنه ... ... ومغادرته مكانه ... لا ...
... وفي العاشرة تماماً كان ماجد يبدل ملابسه في غرفة نومه،
... إلى أن « يعقوب » ينظر إلى ذراعه ... فسأله
ماذا هناك يا يعقوب ؟

بتبع « يعقوب » معانه وأخفى دهشته وهو يقول : لا شيء لا شيء . واتجه إلى فراشه في الحال . وتعجب ماجد ولم يفهم ما حدث واتجه إلى فراشه أيضا متظاهرا بالنعاس . وخلال نصف ساعة كان النوم قد غلب الجميع وأطفئت الأنوار .

وبهدوء نهض ماجد وتسلل من فراشه وارتدى ملابسه واتجه نحو الباب . فقد كان يدرك أن وقت العمل قد حان .

« في الأسر »

فتح ماجد باب عنبر النوم ببطء وحذر. لم يكن هناك أحد بالخارج، وكان رئيسه يحس حظه قد نسي أن يستعد منه تصريح المرور وكان هذا سيعينه حتماً في اختيار الأماكن المحظورة.

كان قد أدرك أن هناك شكوكاً تحوم حوله، وأن أمر انكشافه قد اقترب، ولذلك كان عليه العمل بسرعة وتفجير الغواصة بأي وسيلة.

كان يعرف أن فرصة نجاته تكاد تكون معدومة. ولذلك قرر أن تكون نهاية الجميع في قلب الغوصة الذرية.

إن الوصول إلى غرفة المفاعل النووي يكاد يكون مستحيلاً، ولذلك من الأفضل له تدمير الغواصة عن طريق طوربيداتها. وكانت خطته في ذلك سهلة بسيطة. فحجرة الطوربيدات تحوي أجهزة وشاشات الكترونية غاية في الدقة تتحكم في مسار الطوربيد وتوجهه بعد إطلاقه، وليس أسهل عليه من إطلاق ثلاث أو أربع طوربيدات في الماء. ثم توجيهها بعد ذلك لتنفجر في بدن الغواصة وتغرقها!

وكان محمد يدرك أن تفجير مفاعل نووي أو غواصة نووية في الغواصة يعني دمارا مخيفا كبيرا، وتلوثا شديدا في مياه المحيط مما قد يتسبب في كارثة عالمية، لذلك استقر رأيه على تفجير الجزء الأمامي أو الخلفي من الغواصة، وإغراقها بما فيها بدون المساس بحمولتها الذرية.

وعلى الفور اتجه محمد إلى حجرة الطوربيد دون أن يعترضه شخص ما.

همس « يعقوب » في جهاز لاسلكي صغير: لقد غادر عمر لتوه أيها الكابتن « ... كي »، إنه يسير باتجاه غرفة الطوربيد.

ارتسمت ابتسامة وحشية على وجه « ... كي » وقال: لقد توقعت ذلك.. أعدوا له استقبالا حافلا هناك.

سار محمد لبعض الممر حتى توقف على باب حجرة الطوربيد. تصريح المرور فانفسح له الطريق، ومد محمد التصريح في فتحة الباب الالكترونية وظهر بداخل الحجرة سبعة من الضباط ممن يتعاملون مع الأجهزة المختلفة، وقد انقسمت الحجرة إلى نصفين كانوا يشغلون منه النصف الأول ويفصلهم عن النصف الثاني حاجز زجاجي سميك لا يخترقه الرصاص قد رص خلفه عدد كبير من الطوربيدات أمام منصات إطلاقها.

وكان على محمد السيطرة على الموجودين بالحجرة بأي وسيلة، ولم يكن معه سلاح ما، واستدار ناحية الحارس الواقف على حراسة

الحجرة وبضربة مفاجأة في ظهره اندفع الحارس للأمام واصطدم بالحائط الصلب وبهوى على الأرض، والتقط ماجد مدفعه الرشاش وصوبه نحو العاملين بالحجرة قائلا بصوت منذر : عند أي حركة أو اعتراض سأطلق الرصاص. توقف الضباط ذاهلين، وشار ماجد بسلاحه إلى أحدهم قائلا جهز ثلاث طوربيدات للإطلاق

تساءل الضابط ذاهلا وعلى من ستطلقها ؟

رد ماجد بصوت رهيب ستطلقها على هذه الغواصة !!

ظهر الذهول في عيني الضباط، وصرخ أحدهم . هل انت مجنون ؟

واندفع نحو ماجد، ولكن دفعة من رشاش ماجد أسقطته جريحا على الأرض، ووقف بقية الضباط وهم يرتجفون في هلع

وبهدوء انفتحت طاقة صغيرة في السقف وظهر في فتحتها مغناطيس قوي، وعلى الفور طار المدفع الرشاش من يدي ماجد بقوة شديدة والتصق بالمغناطيس في سقف الحجرة

بوغت ماجد بالحركة وجمد لحظة، وعلى الفور انفتح باب جانبي، واندفع منه ستة من البحارة الشرسين مصوبين رشاشاتهم نحو صدر ماجد، ففوجئ بالأمر ولم يستطع الحراك

ومن الباب الأمامي ظهر الكابتن « راكي » وهو يبتسم نحو ماجد ابتسامة ساخرة شديدة القسوة وهو يقول . منذ وقت أوحشتنا المعارك الصغيرة ورؤية الدماء وهي تسيل هل تظن انك خدعتنا أيها الثعلب .

لقد كنت اشك فيك منذ تسببت في تخريب جهاز قياس حرارة المفاعل وان لم أكن متأكداً وقتها.. ولكن غلطة غير مقصودة هي التي كشفتك والفضل فيها يعود إلى « يعقوب »

وصهر « يعقوب » من خلف « راكي » وهو ينظر إلى ماجد نظرة مليئة بالكراهية وهو يقول. هذا الرجل ليس هو « جاك » وان كان يماثله في الملامح بطريقة مذهلة حتى كأنه توأمه

قال « راكي » ساخراً : لقد اكتشف « يعقوب » حقيقتك مصادفة. لأن جاك في الليلة الماضية وبعد أن شرب البيرة كعادته اندفع في معركة مع بعض زملائه فأصابه احدهم بجرح في ذراعه.. وعندما شاهد « يعقوب » ذراعك وانت تبدل ملابسك استعدادا للنوم لم يشاهد أثراً للجرح والجراح لا تندمل بسرعة فأنا ادرى بها.

دق قلب ماجد عنيفا للمصادفة السيئة التي كشفت عنه ولم يتوقعها وهتف « يعقوب » في ماجد بغضب شديد . ماذا فعلت « بجاك » أيها المجرم هل قتلته ؟

لم ينطق ماجد وشمل الموجودين في المكان بنظرة باردة وعيناه مصوبتان على الاسلحة التي تحيط به من كل اتجاه.

تساءل احد البحارة مرمجرا ووجهة مدفعه في صدر ماجد : هل اقتله يا سيدي ؟

ــ ليس بعد ايها الغبي . علينا أن نمزقه أرباً إلى قطع صغيرة

وهو حي ويلقي بصراخه أمام عينيه للأسماك المتوحشة في الخارج. ثم يحتفظ برأسه ليهديه إلى رؤسائنا.

وبصوت رهيب اكمل حدوه إلى حجرتي ن هذا الشعب سيلاقي من العذاب ما لن يجد له مثيلا في الجحيم

دفع البحارة ماجد بعنف، وصوب أحدهم مؤخرة مدفعه الرشاش نحو فك ماجد وضربه بقوة فتحاشى ماجد الضربة، وسدد لكمة هائلة إلى بطن البحار الذي ترنح للخلف، وقبل أن يستوي ماجد على مدفعه الرشاش انهالت البحارة بمؤخرات مدافعهم الرشاشة فوق رأسه وجسده بعنف ووحشية كقطيع من الحيوانات المفترسة، فانفجرت الدماء من وجه ماجد وسقط على الأرض فاقد الوعي لشدة ما أصابه.

* * *

« الملاك الحارس.. لا يأتي مرتين »

أحس ماجد بشيء بارد مثلج يسقط فوق وجهه. كان هناك صداع شديد بالألم يمزق أطرافه كأنما يجذبه شخص من رسغيه بقوة شديدة. فتح عينيه ببطء، وترقصت مرئيات أمامه، فرأى بحاراً يسكب ماء مثلجاً فوق رأسه لإفاقته. وكان أول من ميزه من الوجوه المحيطة به هو وجه الكابتن « زكي » بعينيه اللتين تشبهان عيني الذئب. وكانت في عينيه نظرة موحشة، وزأر « زكي »: ها أنت قد استعدت وعيك أيها الثعلب الغادر. مرحى.. مرحى.. إن بك بنية قوية جعلتك تستعيد وعيك بسرعة. ولا بد أنك ستحزن عندما تعرف أن رجالنا يقومون بإصلاح أجهزة الحرارة التي قمت بتخريبها وقد أوشكوا على ذلك.

كان ماجد مقيداً من رسغيه إلى الحائط بقيود حديدية، وكان الألم الذي أحس به ناشئاً من ضغط القيود على رسغيه عند فقدانه وعيه وسقوطه بجسده لأسفل.

تحامل ماجد على نفسه ونهض ليخفف الألم في معصميه. كان

يحس كأنهما قد انخلعا من شدة الألم.. وكانت عينه اليسرى متورمة لشدة ما نال من ضربات موجعة فيها، حتى انه لم يعد يشاهد بها شيئا لشدة تورمها، وكان الألم المنبعث منها ايضا لا يطاق.

انتبه ماجد إلى انه مقيد في كابينة الكابتن، فقد كانت واسعة محكمة بها فراش وثير بأحد الاركان وعدة اجهزة للاتصال بالعالم وشاشات وخرائط ملاحية وبوصلة وكانت هناك اسئلة قلقة تدور في عقله، ترى ما موقعهم في المحيط الآن . وما هي المدة التي استغرقها في فقدان وعيه، وهل اقتربت الغواصة من بلاد الاعداء ؟

وافاق ماجد من افكاره المضطربة على ضربة هائلة وجهها له احد البحارة في بطنه وهو مقيد اليدين لا يستطيع الحركة، وأحس ماجد بألم هائل مكان الضربة فندت عنه آهة ألم خافتة واحتقن وجهه.

هتف ماجد في البحار بضراوة : أيها القذر.. لقد اعتدت أن تضرب وتقتل كالنساء واعداؤك مقيدون أمامك. ولو كان بك ذرة شجاعة لقاتلت رجلا لرجل.

زأر البحار بوحشية وكاد يندفع نحو ماجد ثانية ليلطمه بقبضته ولكن الكابتن صرخ فيه : دعه يا «بوكس ». انه أسيري وأنا أريد استرجاع الأيام الجميلة في « فيتنام » معه.

تساءل احد البحارة : ألن نتخلص منه يا سيدي ؟

هز الكابتن رأسه وهو يقول: لا.. لقد جاءت الأوامر من بلادنا

بلا تقدير عليه حب . ويبدو أن هذا الرجل له قيمة كبيرة ونحن لا ندري . إنهم يحسبون أنه أحد عظماء رجال مخابرات العرب، وهم يقولون إنهم لا يشكون أبداً أنه « محمد شريف » فلا أحد يجرؤ على دخول عواصمنا غيره . إنهم يعدون حفلا لاستقباله وقد أطلقوا عدداً من السفن لمرافقتنا في رحلة العودة وستصل في ظرف ساعات قليلة

ولمعت عيناه وهو يقول . إنهم يخشون أن يرسل المصريون سفن وغواصات لقتالنا واستعادة هذا الشعب بعد انكشاف أمره.. وهم لا يعلمون أن سمكة غواصتنا النووية كفيلة بنسف « القاهرة » وجعلها أطلالا بملايينها الأربعة عشر. سوف يكون ذلك أجمل مشهد أراه في حياتي . وقهقه « زكي » بحبور بصوت عال.

وقال أحد البحارة غاضباً . ولكننا لا يمكن أن نسمح بتسليم هذا الشعب لحكومته . إنه صيدنا نحن وقد تعودنا أن نتصرف فيما تقتنصه أيدينا . لمعت عينا « زكي » بخبث وهو يقول . إن الأوامر هي الأوامر.. وما دامت الأوامر قد جاءت بتسليمه حياً فيجب أن نفعل . ولكننا قبل ذلك سنقوم بعمل آخر. سوف ننزع أطرافه ونقطعها، ونشوه وجهه ونقتلع عينيه ولكننا في النهاية سنسلمه لحكومته حياً . وهكذا أيها الرفاق ننفذ الأوامر. وفي نفس الوقت سنشبع رغبتنا في تقطيع أطراف هذا العميل وإلقائها للأسماك المتوحشة . سوف يكون ذلك شيئاً ممتعاً.

واخرج « راكي » من احد ادراج مكتبه سكينا طويلة حادة كأنها سيف صغير، فتعالت كلمات الاستحسان ولاعجاب من بحرته العشرة، واقترب « راكي » من ماجد وهو يقول له : من الجزء الذي تحب أن نبدأ به. اصابعك أم اذنيك ثم نبدأ بتر أجزاء من كتفيك هيا أجبني بسرعة فاني متحرق شوق إلى البدء ومس سكينه الطويلة صدر ماجد وضغط عليها فأحس ماجد بألم هائل وانبثق شريط من الدم الاحمر القاني مكان السكين.

صاح الحارة العشرة بوحشيه واستمتاع واخذوا يضحكون في سرور.. على حين اثار منظر الدماء « راكي » وجعله يبدو أشبه بحيوان مجنون.. واقتربت السكين مرة أخرى بين صابع ماجد المفرودة، وضغط عليها « راكي » فأحس ماجد بنصل السكين يخترق جلده بين اصابعه اليسرى والدم يتدفق منها

وقال « راكي » لماجد : والآن أي اصبع تحب أن نبدأ به.. هيا أجبني بالاصبع الزائد عن حاجتك لأبدأ به.

احس ماجد بغضب هائل.. غضب لم يشعر به في عمره أبداً. كان يتفجر بداخله احساس رهيب بالعجز وهو مقيد من يديه لا يستطيع الحركة . كانت يداه مقيدتين بقيد حديدي يستحيل الفكاك منه وكانت قدماه حرتين ولكن قيود يديه كانت تشل حركته إلى الحائط.

وزمجر « راكي » وضغط بسكينه ما بين اصابع ماجد، ولم يستطع

ماجد يحمل الألم اكثر من ذلك، وبحركة خاطفة امتدت قدمه في ضربة مؤلمة « لراكي » في بطنه، فتراجع الكابتن وهو يزمجر شدة.. وارتعش الجنون في عينيه وصرخ لقد احمرت مصيرك بيدك أيها القذر. لا أحد يمس « راكي » وقد ظهر القلق في عينيه وغمغم: يبدو أن هناك خطرا ما.

وأسرع إلى جهاز الاستقبال وفتحه وهتف: ماذا هناك أيها المساعد ؟

وجاء صوت المساعد مضطرباً قلقا لقد اصبحنا اجهزة قياس الحرارة يا سيدي واكتشفنا أن درجة حرارة المفاعل الذري قد تضاعفت.. اننا نواجه خطراً شديداً يا سيدي

صرخ « راكي »: ماذا تقول أيها الغبي.. ومن الذي عبث بحرارة المفاعل. ضاعفوا من جريان الماء البارد في المفاعل افعلوا أي شيء ولا انفجر المفاعل وقتلنا جميعا اوقفوا هذا المفاعل واوقفوا المحركات حتى تقل الحرارة. واندفع نحو رجاله صارخا اتبعوني.. اننا في خطر شديد.

هرول البحارة العشرة خارج الكابينة وقد أصابهم الذعر، وأمسك « راكي » ماجد من ياقته وهتف بصوت مبحوح انك السبب. لا بد أنك عبثت بمفاتيح حرارة المفاعل سوف نعالج هذا الخطأ فوراً وأقسم أن انتقم منك بعدها شر انتقام.

وألقى بالسكين على الارض غاضب واندفع خارجا من الكابينة

كالمحموم. وتمص ماجد في راحة.. حاء الانقاذ في الثانية الاخيرة وتدخل « ملاكه الحارس » في اللحظة المناسبة.

كان ماجد واثقا أن اصلاح الخلل لن يستغرق وقتاً طويلا وأن ايقاف المحركات والمفاعل النووي ومضاعفة جريان الماء البارد فيه سوف يُهبط من حرارته وسوف يستعيد المفاعل حرارته العادية، ثم تواصل الغواصة رحلتها لتتقابل مع الاسطول البحري الذي أرسله العدو لاستقبالها، ووقتها لن يستطيع أن يعمل شيئا. ولكن توقف الغواصة كان يمنحه لحظات ثمينة عليه انتهازها. انما يجب ان يتخلص من قيوده اولا وكان الجهاز الصغير الذي يتحكم في قيوده امامه على مسافة خطوتين من مكانه بينما حل قيوده الحديدية يتطلب ادارة احد مفاتيحه جهة اليسار مد ماجد قدمه نحو الجهاز. ولكن قيود يديه منعته من الوصول بقدمه إلى المفتاح.. كانت تفصلهما مسافة لا تقل عن نصف متر

وحاول ماجد مرة اخرى ولكن المحاولة فشلت ايضا، وكادت قيوده تحطم معصميه وهو يجذب جسده بعيداً محاولا الوصول إلى المفتاح بقدمه.. وضاعف نزيف صدره وأصابعه التي جرحتها سكين « زاكي » من آلامه.

ووقعت عينا ماجد على السكين التي القاها « زاكي » على الأرض كانت لا تبعد اكثر من نصف متر عنه.. وعلى الفور لمعت الفكرة في ذهن ماجد فتخلص من حذاء قدمه اليمنى باستخدام

قدمه الأخرى، ومد قدمه نحو السكين، وبأصابع قدمه استطاع الإمساك بمقبضه.. ورفع السكين الصوبية بقدمه ومدها نحو الجهاز. وببطء وحذر أدار مفتاحه بسن السكين فطوعه المفتاح بعد عدة محاولات.. وانحلت قيوده.

مسك ماجد بمعصميه بيديه كانا لا يزالان يؤلمانه بشدة واحد يدعكهما ومزق جزءاً من سترته وربط مكان الجرح في صدره وأصابع يده اليسرى والتقط السكين واخفاه بين ملابسه واتجه إلى حيث الخرائط الالكترونية التي كانت تحدد موقع الغواصة في المحيط كانت الغواصة بعيدة بما يقرب من ثلاثين كيلومتر عن جزيرة « سانت هيلانة » في وسط المحيط الأطلنطي على خط عرض « ١٥ » درجة جنوب خط الاستواء.. وظهرت على الشاشة نقاط صغيرة حمراء تمثل اسطول العدو البحري لدى هدف ملاقاة الغواصة وكان يبعد ما يقرب من مائتي كيلو متر جنوبا.. وكان هذا يعطي ماجد فرصة ثمينة للتصرف قبل وصول سفن العدو.

احس ماجد بحركة أمام باب الكابينة فأسرع يحتمي خلفه، وانفتح الباب وظهر « راكي » في مدخل الكابينة، وما كاد يخطو داخلها حتى اندفع ماجد من خلفه في حركة مفاجئة وطوق رقبته بذراعه اليسرى وسدد نصل السكين الحاد إلى صدر « راكي » قائلا إذا حاولت المقاومة فسأغرز السكين في قلبك فظهر الرعب في عيني « راكي » وانتزع ماجد من حزام « راكي » مسدسه، ثم دفعه بعيداً



وصوب مسدسه نحوه وهو يقول: والآن اعط أمراً لصباطك بالطفو فوق سطح الماء.

هتف « زاكي » مذعورا : ماذا ؟

ـ قلت لك اعط صباطك أمراً بالطفو فوق سطح الماء بالغواصة . أم هل تريدني أن ادمرها واغرقها وهم في قلبها

ظهر الرعب في عيني « زاكي » وزحف على ركبتيه نحو ماجد متوسلا وهو يقول : ارجوك يا سيدي إننا ننفذ الأوامر ولا ذنب لنا فلا تقتلنا

واخذ ينتحب بشده وهو يتوسل ماجد ويرجوه بذلة واستكانه وتعجب ماجد من منظر الكابتن المتوحش الذي انقلب إلى انسان جبان يتوسل ويبكي، ولم ينتبه ماجد إلى ما يقصده « زاكي » من تظاهره .

وعلى حين غرة جذب « زاكي » ماجد من قدمه بحركه مفاجئة فاختل توازن ماجد وسقط على الارض، وألقى « زاكي » بنفسه فوق صدر ماجد وامسك بيده يد ماجد القابضة على المسدس، وبيده الأخرى قبض باصابعه حول رقبه ماجد احس ماجد أنه يكاد يختنق، وحاول اراحة « زاكي » في تخليص المسدس من اصابع ماجد الذي كان جاثما فوقه كحيوان متوحش مفترس . ونجح « زاكي » في تخليص المسدس من اصابع ماجد الذي كان يعاني من الضعف لشدة تعذيبه وما سال منه من دماء وصوب « زاكي » مسدسه نحو رأس ماجد وهو يقول بكراهية ممقوتة أيها الثعلب

اماكر سوف أملأ رأسك بالرصاص فتصير كالمصفاه ، تذهب الأوامر إلى الجحيم.

حن حوب ماحد و دبك بهايته وعرف نه ن بحمد من معده هده المرة ولا حتى ملاكه الحارس، وحثث صابع يده بحرجته حوبه فعثرت عى سكين « ركي » الطويله ملقاه عى الارض، وبقبضت صابع ماحد عى سكين، وقبل أن يطبق « ركي » مسدسه امتدت يد ماحد بالسكين بحركة سريعه تصيح بالمسدس والاصابع القابضه عليه حدث الامر بثانيه واحدة وقطع ماحد يد « راكي » وحملق « راكي » في يده المقطوعه لحظة قبل أن يستوعب ما حدث، ثم صرخ صرخه هائله وارتمى على الارض وهو يتمرغ من الألم كحيوان مذبوح

نهض ماحد بعيون قاسية متحجره لقد كسب معركه حياة أو موت بين هو أو عدوه وكانت السكين في يده لا تزال تقطر دماً وقد تلوثت ملابسه وصدره بالدم لدي انفجر من درع الكابتن واعرق الرصيه. وقال ماحد براكي بلهجه لا أثر للعواطف فيها هذا بعض من انتقام السماء لمن عذبتهم من قبل وتبددت بقتلهم والآن فإنني امرك مره اخرى باصدار أوامرك الى صاطك بالطفو بالغواصه قريبا من شواطئ جزيره « سانت هيلانة » وإلا فسي سأقطع رقبتك هذه المرة ولا اظن ان اسماك التي سبقتها سيستطيب طعمها القذر !

نمجر « زاكي » باكيا بصوت يقصر ألماً وهو يقول: لا تفعل يا سيدي أرجوك. سأنفذ كل ما تقوله. وجذ يربط ذراعه المقطوعة ليوقف نزيفها، ونهض وهو يترنح نحو جهاز الاتصال الداخلي، فقال له ماجد محذرا: لا تحاول أي خدعة. سوف تكون حياتك هي الثمن. واطلب من الجميع مغادرة الغواصة عند الطفو

تمتم « زاكي » بألم رهيب: سأفعل.. سأفعل فلا تؤذني

واقترب من جهاز الاتصال وأدار مفتاحه بيده اليمنى الباقية وبصوت متحشرج مبحوح هتف فيه: انتباه. انتباه.. إلى جميع الضباط والبحارة... وبلحظة خاطفة اخرج من ملابسه سكينا صغيراً واستدار بسرعة البرق نحو ماجد وغرز السكين في كتفه فتراجع ماجد إلى الخلف وهو يتألم بشدة من جرحه

وصرخ « زاكي » في جهاز الاتصال الداخلي: لقد فر السجين من قيوده، أسرعوا إلى غرفة الكابتن بكل أسلحتكم لتحديه!

* * *

« الشر بالشر.. والبادي اظلم »

تراجع ماجد للخلف وهو يحس بألم شديد وان قواه تخور وأنه يوشك على الاغماء مرة أخرى لشدة ألمه. واستدار « راكي » نحوه بجنون ووحشية وقد التمعت عيناه كنمر هائج، وأطبق « راكي » بيده اليمنى على رقبة ماجد واخذ يضغط عليها بقوة رهيبة وهو يزأر بجنون. وأحس ماجد بأنه يختنق وقواه تضعف وتخور. واصطدم كتفه الجريح بالحائط الخشبي فأحس كأن شرارة من اللهب قد مزقت جسمه. وانتبه إلى السكين التي لا تزال مغروزة في كتفه، وبقوة قاهرة انتزعها بيده الاخرى برغم الألم الممض، ثم دفع بها في قلب « راكي » في نفس اللحظة. وجحظت عينا راكي بألم هائل وتراخت اصابعه عن رقبة ماجد وفتح فمه ليقول شيئا، ولكن الكلمات لم تخرج من بين شفتيه، وسقط على الارض بلا حراك.

وبرغم آلام ماجد الشديدة فقد تحامل على نفسه، كان يدرك أنه لا وقت للآلام وأن رجال الكابتن سوف يهرعون إلى كابينته

حلا. فأسرع يعلو تابه من الخوف في اللحظة التي انهالت ايدي وصرفت البحارة والضباط على الباب من الخارج تحاول تحطيمه

وسرع ماجد إلى باب جانبي صغير وخرج منه وسار يحذر في ردهة جانبية للغواصة.

وكانت تصل إليه اصوات الضباط والبحارة وهم يهرولون في اضطراب شديد واعمى، بعد أن اشاعت كلمات الكابتن الذعر في قلوب الجميع.

وكان على ماجد أن يتحاشى رؤية أحد له. فما كانت به قوة لمواجهة أي من البحارة والضباط وهو بلا سلاح. وكان عليه الوصول إلى غرفة لعميين بأي ثمن فقد كانت هي الأمل الأخير الباقي له ليسيطره على الغواصة. وكانت حجرة لعميين لا تزال بعيدة عنه. وفجأة برز احد البحارة امامه، وفوجئ البحار ماجد فأسرع يصوب مدفعه الرشاش نحوه. واستجمع ماجد قوته وطار في الهواء ليضرب البحار في وجهه بكل ما تبقى له من قوة

وسقط البحار على الارض فأسرع ماجد ينزع مدفعه الرشاش منه، وما أن حاول البحار النهوض حتى اطلق عليه ماجد دفعة من الرصاص فهمدت حركته.

وادرك ماجد أن صوت الرصاص لا بد سيأتي بعشرات من البحارة والضباط فأسرع يبتعد عن المكان ووجد نفسه امام باب حجرة

العمليات اندفع ماجد نحو الباب ولكنه كان مغلقا، وكان يستحيل فتحه ولو باستخدام الرصاص فقد كان مصمماً لا يفتح إلا بالبصمة الالكترونية وفجأة انفتح الباب وظهر أحد الضباط خارجا منه، وعلى الفور دفعه ماجد إلى الداخل مرة أخرى وقفز خلفه إلى قلب الحجرة.

كان بداخل الحجرة ثلاثة ضباط آخرين منهم « يعقوب » وفوجئوا جميعا بما حدث وصوب ماجد مدفعه الرشاش نحوهم وهو يقول : إذا تحرك أحدكم أو حاول المقاومة فسأصرعه على الفور.

انكمش الضباط في أماكنهم ولمع في عيني « يعقوب » بريق من الكراهية والحقد نحو ماجد، ولوح لهم ماجد مهدداً بمدفعه الرشاش قائلاً : تراجعوا جميعاً إلى الخلف وقفوا بجوار الحائط نهض الضباط ببطء وهم ينظرون إلى بعضهم في قلق، وارتصوا أمام الحائط وأشار ماجد إلى ضابط التحكم في غوص الغواصة وطفوها قائلاً : أنت.. تحرك واجلس فوق هذا المقعد

وأشار ماجد إلى مقعد ضابط التحكم في حركات الغواصة التي كانت تسمح لها بالطفو أو الغوص

تحرك الضابط وجلس على المقعد بصمت، وقال ماجد له : إبدأ في تفريغ الخزانات من الماء فسوف نطفو على السطح

أدار الضابط بعض الأجهزة والمفاتيح أمامه وعلى الفور بدأت الغواصة في تفريغ خزاناتها من ماء وبدأت تطفو رويدا رويدا حتى

استقرت فوق سطح الماء، وكشفت الأجهزة التليفزيونية سطح المحيط الحرج.. وكانت جزيرة « سانت هيلانة » لا تزال بعيدة في نهاية الأفق على مسافة تزيد عن عشرة كيلومترات.

أشار ماجد بسلاحه إلى الضابط قائلاً: والآن اضغط على أجهزة التحذير الإشعاعي.. أريد إنذاراً داخل الغواصة لجميع العاملين بأن هناك تسرباً إشعاعياً خطيراً قد حدث واجعلهم يغادرون الغواصة فوراً.

تطلع الضباط إلى بعضهم البعض بذعر.. كان تنفيذ هذا الأمر يعني استيلاء ماجد على الغواصة بسرعة قبل أن يهتدي البحارة والضباط بالخارج إلى مكانه في غرفة العمليات ويحاولون اقتحامها.

اعترض الضابط الذي وجه إليه ماجد الأمر قائلاً: إن المحيط مليء بأسماك القرش في هذه المنطقة.. سوف تلتهم الأسماك المتوحشة من يحاول الخروج إلى الماء.

أجاب ماجد بخشونة: هذا أفضل من إغراقهم بالغواصة.. وسيكون أمام الجميع فرصة للنجاة إذا استطاعوا السباحة إلى جزيرة « سانت هيلانة ».

هتف البحار محتجاً: ولكن..

دفع ماجد فوهة الرشاش في صدر الضابط بعنف وهو يقول بصوت منذر: نفذ الأوامر.

لمع بريق طاغ في عيني « يعقوب » واندفع نحو ماجد مستغلا انشغاله مع الضابط، ولكن ماجد استدار نحوه في اللحظة المناسبة وافرغ مدفعه الرشاش في صدره فقد كان يتوقع ما فعله، وسقط « يعقوب » على الارض بلا حراك . وكان ذلك كفيلاً باقناع بقية الضباط بامتثالهم لأوامر ماجد بلا مناقشه

وضغط الضابط على زر النداء الآلي، وعلى الفور دوى تحذير في كافة ارجاء الغواصة يقول تحذير تحذير حدث تسرب اشعاعي من المفاعل درجة الاشعاع « ج » . خطر جدا على الجميع مغادرة الغواصة في الحال . الغواصة مهددة بالانفجار

وعاد النداء الآلي يكرر التحذير، وعلى الفور تعالت من الخارج أصوات هرولات وصيحات مفزعة. واندفع البحارة والضباط نحو فتحة النجاة الامامية في الغواصة واخذوا يقفزون بانفسهم خارجها ويسبحون باتجاه جزيرة « سانت هيلانة ». وعلى الفور ظهرت اسراب اسماك المتوحشة واندفعت تهاجم السابحين في ضراوة ووحشية.

وتعالت الصرخات المفزعة والسمك المتوحش يواصل مهمته بنشاط رهيب وفي دقائق معدودة تم الأمر.

وظهرت على شاشة الكترونية عريضة امامهم اربع نقاط كبيرة كانت تقترب بسرعة، وابتسم ماجد بسخرية شديدة وهو يقول : لقد وصلت السفن التي جاءت لمرافقة غواصتكم وحمايتها . سوف

تكون هناك مفاجأة لاستقبالها.. سعد لها حمل استقبال طيب

ادرك الضباط ما يدور في ذهن ماجد، وصرخ احدهم: هل تريدنا أن ننسف هذه السفن بمن فيها؟

رد ماجد بهدوء وسخرية . سأشفع صبي بعبارة من قصصكم «فرسي رجل مهذب لا يمكن أن آمركم بنسف هذه السفن دون أن يكون ذلك بأسلوب مهذب» صاح ضابط آخر: أيها المجنون هل تظن اننا سنرتكب هذه المذبحة بقواتنا؟

بهدوء اجابه ماجد . أظن انكم كنتم سترتكبون أشنع منها مع قواتنا البحرية بغواصتكم النووية وإلا فلماذا اشتريتها بلادكم؟

صاح الضابط الثالث وهو يرتعش . ولكنهم اهلنا

ببرود أجابه ماجد ومن كنتم ستقتلونهم هم أهلي. وتذكروا أن اسيادي اعظم وانتم بدأتم بالشر بامتلاككم هذا السلاح الرهيب ولذلك يجب أن تذوقوا طعمه أولا حتى تدركوا أي شر كنتم تنوون جلبه إلى العالم.

وبصوت رهيب صاح فيهم انسفوا هذه السفن الاربع. وإلا فانني سوف انسفكم قبلها ثم انسفها بعدكم.

ارتعش الضباط الثلاثة.. واستقروا فوق مقاعدهم ووضعوا فوق اجهزة التحكم المتصلة بحجرة الطوربيد . وبتوجيه الكتروني صوب الضباط بطوربيداتهم البحرية ثم أطلقوها.. واندفعت أربع طوربيدات

نحو اقرب سفينتين، واصيبت كل سفينة بطوربيدين في جنبيها، وانفجرت الطوربيدات لتحطم اجناب السفينتين وصرح بحارتها والماء يتدفق إليهم وهم لا يشاهدون العدو الخفي الذي هاجمهم

وانفجرت السفينتان لما تحمله كل منهما من قنابل وصواريخ، واسرعت السفينتان الباقيتان نجدة من نجا من انفجار السفينتين الاوليين. وانفجرت اربع طوربيدات أخرى في السفينتين الثانيتين فانفجرتا في الحال ولحقتا بزميلتيهما وخلال دقائق قليلة كانت السفن الاربع تغرق في المحيط الذي تناثرت فوقه بقايا السفن المنفجرة ومن نجا من بحارتها، وهم يصارعون الغرق في جنون.

راقب ماجد ما حدث فوق الشاشة التلفزيونية الكبيرة أمامه بوجه جامد وفم مزموم بقسوة، وقال أخيراً والهدوء يعود إلى سطح الماء: سيكون هذا درسا قاسياً لبلادكم حتى لا تفكروا في تعدون على بلادنا مرة أخرى، أو امتلاك مثل هذه الأسلحة الرهيبة

ونظر إلى الضباط الثلاثة باحتقار قائلا: ما أسهل أن أبحر إلى بلادكم واطلق عليها قذيفة نووية من هذه الغواصة لأمحوها من الوجود. ولكننا لسنا قوما عدوانيين وارهابيين مثلكم.

قال أحد الضباط برعب: وماذا ستفعل بالغواصة.. هل ستأخذها إلى بلادكم؟

ـــ لا أيها الضابط انا لسنا لصوصا ونحن لا نريد امتلاك مثل هذا الشيء الملعون لو كنت استطيع تفجير هذه الغواصة

والتخلص من شرها لفعلت، ولكن هذا سيسبب تلوثاً شعاعياً للمحيط فيصاب أبرياء كثيرون بلا ذنب بالإضافة إلى موت كثير من الكائنات البحرية وتلوث الشواطئ. إن الحل الوحيد هو إغراق هذه الغواصة.

صاح الضباط ذاهلين: إغراقها؟ هذا جنون. إن ثمنها يفوق مليارَي دولار فكيف تغرقها؟

ماجد: إن البشر الذي سننقذه يفوق هذا الثمن بكثير.

قال أحد الضباط ذاهلاً برعب وتحسر: ماذا ستفعل بنا؟ هل ستقتلنا؟ تطلع ماجد نحو الضباط الثلاثة بصمت. كان يدرك أن الموت هو الحل الأسهل لهم، ولكنه كان يفكر في حل آخر. كان بقاؤهم على قيد الحياة أبلغ شاهد على الجريمة التي كانوا سيرتكبونها، كما أن سعيهم نسف بلادهم سيجعلهم يندمون طوال حياتهم ويدعون للسلام ونبذ الحرب.

وبهدوء قال ماجد: لن أقتلكم. بالعكس سأدعكم تعودون إلى بلادكم تخبرونهم هناك بما حدث، عسى أن يكون هذا درساً لهم. لم يصدق الضباط الثلاثة أنفسهم واندفعوا يعانقون بعضهم وهم يبكون فرحاً لنجاتهم. وأشار ماجد لأحدهم ففتح الباب الإلكتروني. وصعد الضباط إلى سطح الغواصة ومعهم قارب مطاطي نزعوا سداداته فامتلأ بالهواء فسارعوا يستقلونه ويجذفون بسرعة نحو شواطئ جزيرة « سانت هيلانة » القريبة.

أغلق ماجد باب الاتجاه الأمامي وغاص بالغواصة ثانية وانطلق

بها عبر طريق رأس الرجاء الصالح مقتربا من جزيرة « مدغشقر » وتوقف على مسافة عشرة كيلو مترات منها، فارتدى ملابس الغوص ثم ملأ خزانات الغواصة بالماء وأغلق أبوابها وأبطل عمل مفاعلها النووي فراحت الغواصة تهبط ببطء إلى أسفل.

وبسرعة تسلل خارجا من الغواصة من فتحة النجاة الأمامية إلى المحيط، على حين اندفع الماء داخل الغواصة في كل أركانها ليزيد من ثقلها ويهبط بها بسرعة إلى أسفل مثل حجر ثقيل

وكان ماجد يعرف ما سيحدث للغواصة بعد ذلك عندما تستقر في أعماق المحيط، حيث ضغط الماء يساوي قوة رهيبة ستهشم الغواصة كما لو كانت لعبة أطفال وطأتها سيارة نقل ثقيلة

* * *

« الاجازة تبدأ.. في قلب المحيط »

صعد ماجد الى سطح الماء وتخلص من ملابس الغوص كانت جزيرة « مدغشقر » على مرمى البصر منه وكان يستطيع الوصول إليها سبحه في ظرف ساعة أو أكثر ومن هناك يستطيع الاتصال بالسيد « م » والعودة إلى مصر بعد أن يزوده رجال السيد « م » بأوراق السفر اللازمة له.

وابتسم وهو يتخيل منظر السيد « م » وهو يتلقى مكالمته التي يخبره فيها بنجاح المهمة واغراق « السمكة المتوحشة » لا بد أن رئيسه سيعتبره اعجوبة الاعاجيب بعد أن يئس من استطاعة ماجد انهاء مهمته على خير وجه، بعد انكشاف أمره داخل غواصة الأعداء، وربما يفكر في منحه وساماً !

وفكر ماجد في شيء آخر عدة أيام من الراحة فوق شواطئ جزيرة « مدغشقر » الساحرة لعوض فيها العناء الذي لاقاه في تلك المغامرة الرهيبة اخذ ماجد يسبح ببطء بسبب اصابته في كتفه . ومر من جواره زورق سريع فوقه مجموعة من الحسناوات الأوربيات وهن



يستمتع بالانطلاق في المحيط. ولوح ماجد للحسناوات باسماً، وصمت الفتيات نحوه بذهول واسرعن باتجاهه، واوقفت احداهن محرك موتورها الذي تهادى بجوار ماجد، وحملقت الفتيات في ماجد بدهشة عظيمة وقالت احداهن له ذاهلة : كيف وصلت إلى هذا المكان؟ انا لم نشاهد أحداً يسبح على شواطئ الجزيرة ؟

رد ماجد باسما متصنعا الدهشة : جزيرة ؟ أي جزيرة ؟ لقد كنت اتمتع باجازة قصيرة فوق شواطئ سيناء، ويبدو أنني توغلت قليلا داخل الماء عندما اخذني الحماس في السباحة. فهل تستطيع احداكن أن ترشدني إلى طريق العودة، فلا بد أن جدتي العجوز قد اصابها القلق لتأخري كل هذا الوقت ! ولكم — اعزائي القراء — ان تتخيلوا مقدار نظرات الدهشة والذهول التي ارتسمت فوق وجوه الحسناوات فرادتها بهاء ونضارة، وابتسامة ماجد تتسع لتشمل وجهه كله، فقد بدأت الاجازة بحق !

وحدقت احدى الحسناوات في ماجد — وكانت جميلتهن — ثم هتفت به غير مصدقة : أوه .. « جاك بريموس » ؟

وانتبه ماجد إلى أنه لا يزال يحمل ملامح ضابط الغواصة، وأن تلك الحسناء تعرفه بطريقة ما.. وكان عليه استثمار الموقف للساعات الباقية وهو يحمل وجه « جاك » قبل أن يستعيد ملامحه الاصلية

وهتفت الفتاة بفرحة طاغية: هل نسيتني يا « جاك » ؟ لقد امضينا وقتاً سعيداً في « استكهولم » قبل أن تبحر غواصتك

وبدهشة اكملت : وكنت أتوقع أن اشاهدك في أي مكان في العالم.. إلا في قلب المحيط.

ابتسم ماجد وقد اعجبه ذوق « جاك بريموس »، وكانت هذه هي الحسنة الوحيدة التي تحسب له. وقال للفتاة : الحقيقة أنني كنت في الغواصة، وكان من سوء حظي أن دعاني الكابتن لتسليته ولعب الطاولة معه، بالرغم من أن جدتي العزيزة حذرتني من لعب الطاولة مع الغرباء، ولكنني كالعادة كنت ولداً غير مطيع. وبما لم أكن خبيراً بأخلاق الكابتن فقد شاء سوء حظي أن أهزمه وها أنت ترين النتيجة !

قالت الفتاة ذاهلة : هل ألقاك الكابتن من الغواصة إلى المحيط لأنك هزمته ؟

ــ أخبرني البحارة الذين القوني خارج الغواصة أنها عُقدة نفسية لديه منذ الطفولة، وكان هذا لحسن حظي اذ اصطدمت الغواصة بعدها بسمكة قرش كبيرة فانفجرت . بالرغم من أن سمك القرش لا يعيش في مثل هذا المكان !! ورنت ضحكة ماجد عالية صاخبة، وحاوطته الفتاة بضحكة أشد صخباً ومرحاً، وهي لا تدري أي شخص عجيب ألقاه القدر في طريقها !

الفهرس

هذه العملية :

تَـأليف : مَجـدي صَـابر

نسر الاعماق

تدور المغامرة في هذه المدة في قلب المحيط.. داخل غواصة نووية يمتلكها الاعداء.. وتبحر الى بلادهم لتضاف الى قوتهم.. وجاءت الأوامر الى ماجد بنسف الغواصة ومنعها من الوصول الى شواطئ الاعداء بأي ثمن.. ولم يكن هناك مفر من دخول ماجد الغواصة.. وقبل ان يقوم ماجد بمهمته انكشف امره ووقع في يد اعدائه. ترى ماذا كانت النتيجة هذه المرة ؟

دار الجيل
بيروت


تحيا مصر


BLUE
BIRD
Scan By: M.Raafat & Rabab